

شارل بود لير

سأم باريس

قطاثة نثرية قطيرة
ترجمة: محمد أحمد حمد
مراجعة: كاميليا صبحي

نور سين نوفل pdf

365

المشروع القومي للترجمة

شارل بودليير

سام باريس

قصائد نثرية قصيرة

ترجمة : محمد أحمد حمد

مراجعة : كاميليا صبحي



٢٠٠٢

المشروع القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٢٦٥
- سأم باريس (قصائد نثرية قصيرة)
- شارل بودلير
- محمد أحمد حمد - كاميليا صبحي
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة كاملة لكتاب

Le Spleen de Paris

(*Petits Poèmes en Prose*)

الصادر عن : Librairie Générale

Française , 1972

المجلس الأعلى للثقافة حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلالية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

مقدمة المترجم

كان ستيفان مالارميه فى نحو العشرين عام ١٨٦١ حين اكتشف "أزهار الشر" لبودلير بحماسة كبيرة ، وكنت فى العشرين حين اكتشفت الديوان نفسه بترجمة محمد أمين حسونة وفرحت به كثيرا ، ثم سافر مالارميه إلى إنجلترا لدراسة الأدب الإنجليزي ، ودخلت إلى قسم اللغة الإنجليزية بآداب القاهرة لدراسة الأدب الإنجليزي ، موقفان متشابهان أولهما فى باريس وثانيهما فى القاهرة ، يفصل بينهما مائة عام ، ووجدت بودلير يقول إن كل إنسان يحب من يشبهه ، وكانت عناصر الشبه بيننا كثيرة فتولد بيننا الحب منذ ذلك الحين .

ثم غرقت فى دراسة الأدب الإنجليزي من تشوسر حتى فيليب لاركين وشيموس هينى ، ولكن لم أنصرف عن بودلير ، فقد صار ملازما لى ، وقد اعترف عدد من شعراء الحدائث فى العالم بدينهم له ، قال إليوت إنه قرأ كتاب آرثر سايمونز عن الرمزية الفرنسية وتوقف طويلا أمام بودلير ومالارميه وجيل لافورج ، وكذلك فعل روبن داريو أبو الحدائث الشعرية فى أمريكا اللاتينية والشاعر البرتغالى فرناندو بيسوا ، وجيل ٩٨ فى إسبانيا جيل أنطونيو ماتشادو وأونامونو ، وأيضا جيل ٢٧ لوركا ورفاييل ألبرتى ؛ فهو أبو الحدائث الشعرية فى العالم .

وهو أول من شبه الشاعر بالكيميائى ، ومن هنا جاءت « كيمياء العبارة » عند رامبو وهو أول من اكتشف تراسل الحواس فى نظريته للعلاقات ، وأول من أدرك أن فى إمكان الشاعر أن يستخرج الجمال من

القبح حين قال مخاطباً باريس : " لقد منحنتى وحلك فصنعت منه ذهباً ،
ورفض القيم الزائفة فى الفن ، ورفض المادية الوضعية التى كانت تطالب
الشعراء باستلهاهم العلم ، وأدت إلى ظهور الطبيعية التى كانت تنكر
العواطف البشرية وتهتم بالغرائز ووظائف الأعضاء ، كما رفض الشعر
التعليمى الأخلاقى ، وقال إن العمل الفنى الجميل فى حد ذاته سيثير
فى القارئ حاسته الأخلاقية وأول من تحدث عن الحدائث
Nouveaute ، وأنها التجديد الدائم وأول من تحدث عن التشظى ، ولست
أريد أن أستطرد فى عرض أفكاره النقدية ؛ فقد صارت مشاعاً فى
نظريات النقد الحديث .

ولأنى مثله عاشق للرحيل فى المسافات والوجوه والنفوس والكتب
فقد شرقت وغربت ، وشهد العالم أحداثاً جساماً ، وحدثت تغيرات كثيرة
على المستوى السياسى والاجتماعى والشخصى ، وبعد أن « أنعشت
فرنسيتى » بتعبير صلاح عبد الصبور ، وصرت قادراً على لقائه فى لغته
وجهاً لوجه عدت مرة أخرى إلى صديقى القديم وإلى تلاميذه ، فوجدته
مازال " سيداً فى بيته " بتعبير الدكتور على الراعى ، قادراً على الإيحاء
والإلهام ، وكنت أظن أن ترجمة محمد أمين حسونة لأزهار الشر هى
ترجمة لديوان كله ، فاكتشفت أنها ١٠٦ قصائد فقط ، على حين أن
النسخة الحديثة من طبعة الأعمال الكاملة التى صدرت عام ١٩٧٢ تضم
١٦٠ قصيدة ، ومع التفات أجيال الشعراء العرب الجدد إلى قصيدة النثر
وجدت أن ديوان «سأم باريس» . وهو الديوان النثرى . لم تترجم منه إلا
مختارات قليلة ، فعزمت على ترجمته كاملاً .

بدأ بودلير كتابة قصائده النثرية عام ١٨٥٧ بعد أن فرغ من نشر ديوانه «أزهار الشر»؛ فقد كان يحلم بكتابة نوع شعري جديد يتسم بالرونة، ويتسع لكثير من تناقضات الحياة اليومية في المدن الكبرى، «حتى يقتنص في شباكه الوجه النسبي الهارب للجمال»، ووجد ضالته فيما كتبه الوزيوس بيرتيران من بالادات نثيرة مستوحاة من ترجمات بالادات الأسكتلندية والألمانية إلى الفرنسية.

ومن المعروف أن شكل البالاد الذي يشبه الموال القصصي عندنا هو الشكل الذي استوحاه وردزورث وكوليريدج في ثورتها على جمود الكلاسيكية في ديوانهما الشهير Lyrical Ballads عام ١٧٩٨ وتأثير به الوزيوس بيرتيران، ولم يكن اهتمام بودلير بديوان بيرتيران المسمى «جاسبار الليل» نابعا من عدم اطلاعه على ما كتبه وردزورث وكوليريدج أو بالادات المترجمة وغير المترجمة فقد كان فارقاً نهماً، وكان يجيد الإنجليزية وتأثر بشيكسبير وتوماس دي كونيسى وبنظرية الخيال عند كوليريدج، وكان هو الذي ترجم أعمال إدجار آلان بو إلى الفرنسية حتى إنه اشتهر كمترجم قبل إصداره ديوان "أزهار الشر"، ولكن اهتمامه به كان بسبب لغته النثرية الجميلة المكثفة، ولتصويره بعض تفاصيل الحياة في مدينته الإقليمية «ديجون»، وكذلك تصويره لباريس عام ١٨٢١؛ ففكر في كتابة قصائد تصور باريس التي تطورت كثيرا عام ١٨٦١ وشرع في تحقيق حلمه في العام نفسه كما تقول سوزان برنار أو قبل ذلك كما يقول محقق هذا الديوان؛ فأنتج مجموعة من القصائد استوحى فيها روح المدينة الكبيرة «ذلك المعين الذي لا ينضب من النماذج والأحلام»، وكان من رأيه دائما أن «الحياة الباريسية» غنية بالموضوعات الشعرية

الرائعة» وأضافها إلى ديوان «أزهار الشر» في طبعته الثانية عام ١٨٦١ تحت عنوان «لوحات باريسية» بدلا من القصائد الست التي قضت عليه المحكمة بحذفها من الطبعة الأولى.

ثم كتب قصائد أخرى، حتى إنه كتب إلى «سانت - بيغ عام ١٨٦٥ يقول مشيرا إلى قصائده النثرية: أنا الآن في القصيدة الستين»، ولكن ديوان «سأم باريس» الذي بين أيدينا لا يحتوى إلا على خمسين قصيدة؛ فقد حذف منها عشر قصائد كاملة، وذلك لحبه للإجادة ومداومته على تنقيح ما كتب، وحرر قصيدته من نظام البالاد ذي المقاطع وأعطاهما أقصى درجة من الحرية وأطلق عليها هذا المصطلح المتناقص: Poem en prose قصيدة النثر، وكان يقصد هذا التناقص، وكان يكتبها في جمل تكون فقرات، وتبعه في ذلك رامبو وما لارميه ولم يكتبها سطورا مقطوعة يسودها الفراغ كما يكتب الشعر المرسل (ما يسمى عندنا بشعر التفعلية) ولا على طريقة الشعر الحر وهو شعر غير موزون ولا مقفى كتبه «جيل لافورج»، ثم أدخل بول كلوديل عليها نظام الآيات Versets مثل آيات الكتاب المقدس.

لم يتمكن بودلير من نشر ديوانه في حياته، ووجد أصدقائه المخطوط كاملا بعد وفاته، فلم يغيروا فيه شيئا، أما العنوان فيبدو أن بودلير كان حائرا بين هذين العنوانين: «قصائد نثرية قصيرة» و «سأم باريس»، وكان يشير إلى هذا المخطوط في رسائله بـ «قصائد نثرية» إلا أنه في خطاب إلى «سانت - بيغ» بتاريخ ١٥ يناير ١٨٦٦ أشار إلى هذا المخطوط نفسه بـ «سأم باريس - قصائد نثرية قصيرة» فما كان من الناشر إلا أن وضع «سأم باريس» عنوانا رئيسيا، و«قصائد نثرية قصيرة» عنوانا فرعيا.

أما عن آراء النقاد في هذا الديوان فإني أحيلك إلى مقدمة الناقد الذي حققه، وقد وضعتها في نهاية الكتاب، لاتقديما لنفسى عليه، بل لأنى وجدت من الأنسب للقارئ أن يطلع عليها بعد قراءة الديوان فإن بها بعض الغموض، إذ يفترض الناقد أن القارئ قد اطلع على أزهار الشر وعلى دراسات بودلير النقدية، ومذكراته الشخصية، وقد زودت القصائد والمقدمة بالهوامش والتعليقات لتوضيح ما غمض.

على أن هذا الديوان الذى لم يتحمس له جوستاف لانسون ، ولاسانت - بيف، ولاجون كوين الناقد المعاصر - قد أثر مع أزهار الشر - فى الأجيال التالية لبودلير تأثيرا عارما، وكان كل منهما فتحا فى بابه، ومنهما انطلقت المدرسة الرمزية فيما بعد، وكان رامبو الذى هاجم كل من سبقه يشير إلى بودلير بالرائى الأول وملك الشعراء ورب الأرباب!

محمد أحمد حمد

إلى أرسين هوساي *

صديقي العزيز، أرسل إليك عملاً صغيراً، ليس بمقدور المرء أن يقول عنه، دون ظلم، إنه لا ذنب له ولا رأس، بما أن له على العكس من هذا رأساً وذنبا في الوقت نفسه، بالتناوب وبالتبادل، أرجوك أن تتأمل مدى روعة أسباب السعادة التي يقدمها التأليف إلى الجميع، إليك وإلى، وإلى القارئ؛ فنحن نستطيع أن نقطع حيث نشاء، أقطع أنا أحلامي، وأنت تقطع المخطوط، والقارئ يقطع قراءته؛ لأنني لا أعلق الإرادة العنيدة لهذا الأخير على خيط لا ينتهي في حبكة لاطائل من ورائها. احذف فقرة من هذا الخيال المؤلم وستلتئم القطعتان دون ألم، هشمه إلى شظايا كثيرة وسترى أن كل شظية يمكنها أن توجد بمفردها، وعلى أمل أن يصبح بعض هذه القطع حياً بما يكفي لإمتاعك والترويح عنك، فأني أجرؤ على إهداء الثعبان إليك بأكمله .

وعندي اعتراف بسيط أقدمه لك وهو أنه عند تصفحي للمرة العشرين على الأقل، لديوان «جاسبار الليل» الشهير لألوزيوس بيرتيران (وهو كتاب معروف لك ولي، ولبعض أصدقائنا، أليس له كل الحق في أن يسمى شهيراً؟) جاعتني فكرة أن أقوم بتجربة شيء مشابه، وأن أطبق على وصف الحياة الحديثة، أو بالأحرى حياة حديثة أكثر تجريداً، النهج الذي طبقه في تصويره للحياة القديمة المليئة بالصور على نحو غير مألوف .

* رئيس تحرير صحيفة لابريس التي نشرت القصائد العشرين الأولى من هذا الديوان التي أرسلها بودلير إليه مرفقة مع هذا الخطاب.

من منا لم يحلم فى أيام طموحه بمعجزة نثر شعرى موسيقى بلا
إيقاع وبلا قافية، أكثر مرونة وأشد تفاوتاً فى اللفظ ليتلاءم مع الحركات
الغنائية للروح، وتموجات الأحلام وقفزات الوعى ؟

فمن معايشة المدن الكبرى خصوصاً، ومن تشابك علاقاتها التى لا
تحصى ولد هذا المثال المؤرق، وأنت نفسك يا صديقى، ألم تحاول أن
تترجم الصرخة الحادة لصانع الزجاج فى أغنية، وأن تعبر فى نثر
غنائى عن كل الإيحاءات المحزنة التى ترسلها هذه الصرخة إلى حجرة
السقف عبر الضباب بالغ الارتفاع فى الشارع؟

ولكن، لأقول الحق، إنى أخشى ألا تكون غيرتى قد حملت لى حسن
الخط؛ فما إن بدأت العمل حتى أدركت أننى لم أبق فقط بعيداً تماماً عن
نموذجى الغامض الباهر، لكننى أدركت أيضاً أنى صنعت شيئاً ما (إذا
كان يمكن تسميته شيئاً ما) مختلفاً على نحو فريد وهى صدفة كفيلة
بجعل الآخرين جميعاً - إلا أنا - يشعرون بالفخر دون ريب، ولكنها لن
تستطيع إلا أن تحط بعمق من شأن روح ترى أن أعظم شرف للشاعر
هو أن ينجز بصورة صحيحة ما خطط لتحقيقه.

صديقك المخلص

شارل بودلير

الغريب

L'eteranger

- من تحت أكثر، قل أيها الرجل الغر؟ أبوك أم أمك؟ أختك أم أخوك؟

- ليس لى أب ولا أم ولا أخت ولا أخ

- أصدقاؤك ؟

- إنك تستخدم هنا كلمة ظلت لا أدرك معناها حتى اليوم

- وطنك ؟

- إنى لا أعرف تحت أى خط عرض يقع

- الجمال ؟

- لا مانع لدى من حبه إلهها وخالدا

- الذهب ؟

- إنى لأبغضه كما تبغض أنت الله

- إيه ! ماذا تحب إذن أيها الغريب الشاذ ؟

- إنى أحب السحب .. السحب التى تمر هناك

هناك .. السحب الرائعة !

يأس العجوز

Le Desespoir De La Vieille

شعرت العجوز القصيرة المجعدة الوجه بفرح غامر لرؤية هذا الطفل الجميل الذي كان يحتفى به كل إنسان، والذي كان العالم كله يرغب في إرضائه، هذا الكائن الفاتن، شديد الهشاشة مثلها، العجوز القصيرة، ومثلها أيضاً كان بلا أسنان ولا شعر .

واقتربت منه راغبة في تقديم ابتساماتها ووجهها البشوش، ولكن الطفل الخائف جفل من مداعبات المرأة الطيبة الهرمة، وملاً البيت بصرخاته .

وحينذاك، تراجعت المرأة الطيبة إلى عزلتها الأبدية، وراحت تبكى في أحد الأركان قائلة لنفسها:

- "وا أسفاه لنا نحن النسوة المسنات التعسات، لقد ولى زمن الإعجاب بنا حتى من الأبرياء، وصرنا نلقى بالرعب في قلوب الصغار الذين تدفعنا الرغبة إلى حبهم"

اعتراف الفنان

La Confiteor De L'artiste

كم هي لاذعة أواخر أيام الخريف ! أه .. لاذعة حتى الألم ! لأن هناك من الأحاسيس اللذيذة مالا يخفف غموضها من حداثتها . وليس هناك نصل أحد من نصل اللامتتهى .

متعة فائقة هي متعة إغراق البصر في لانهائية السماء والبحر ! فالعزلة والصمت ونقاء اللازورد الذى لا يقارن ، وشراع يرتجف فى الأفق هو بصغره وعزلته يشبه وجودى الذى لا شفاء له ، وصخب الموج بلحنه الرتيب ، كل هذه الأشياء تفكر من خلالى أو أفكر من خلالها (لأن فى عظمة أحلام اليقظة سرعان ما تفقد الأنا ذاتها) أقول لنفسى إنها تفكر ولكن بموسيقية وبهاء ، دون جدل شكلى دون استنتاج .

غير أن هذه الأفكار سواء خرجت منى أو انطلقت من الأشياء فإنها تصير بعد قليل شديدة القوة . إن طاقة الشهوة تخلق ضيقا ، ومعاناة أكيدة . فلم تعد أعضائى الشديدة التوتر تعطى إلا نذبذبات صارخة ومؤلمة .

والآن ، يذهلنى عمق السماء ، ويملأنى صفاؤها بالسخط ، ويثيرنى انعدام حساسية البحر ، وجمود المشهد ، أه ! .. أيتحتم على أن أقاسى إلى الأبد أو أهرب أبدا من الجميل ؟

أيتها الطبيعة الساحرة دون شفقة ، أيتها الغريمة الدائمة الانتصار ، دعينى ! .. توقفى عن إغواء رغباتى وزهوى ! .. إن دراسة الجميل مبارزة يصرخ فيها الفنان رعباً قبل هزيمته !

متكلف الظرف

Un Plaisant

كان هذا انفجار السنة الجديدة : خليط من الوحل والثلج ، عبور آلاف العربات متألقة باللعب والحلوى ، غاصة بالجشع واليأس ، هذيان رسمي في مدينة كبرى ، قصد به تعكير صفو أعتى المحبين للعزلة .

وفي وسط هذا الهرج والمرج ، وهذه الضجة ، كان حمار يخبُّ في حيوية ، وقد أرهقه إنسان غليظ مسلح بالسوط .

وبينما كان الحمار يهم بالدوران حول ناصية أحد الأرصفة ، تقدم سيد وسيم ، يرتدى قفازا ، ومظهره براق ، وقد أحكم رباط عنقه ، ومسجون داخل ملابس جديدة تماما ، وانحنى على نحو متكلف أمام البهيمه المتواضعة ، وقال لها وهو يرفع قبعته :

- « أتمنى لك عاما طيبا وسعيدا » .

ثم استدار مختالاً إلى رفيق ما من رفاقه ، كأنما ليرجوهم أن يضيفوا استحسانهم إلى رضائه .

لم يلتفت الحمار إلى هذا الوسيم المتظرف واستمر يجرى في حماس إلى حيث يدعوه واجبه .

أما بالنسبة لي ، فقد أخذني فجأة غضب لاحد له من هذا الأحمق الفخيم الذي بدا لي أنه يركز في شخصه كل روح فرنسا .

الغرفة المزدوجة

La Chambre Double

غرفة تشبه حلم اليقظة ، هي فى الحق غرفة روحية حيث الهواء راكد ومصبوغ على نحو خفيف بالوردى والأزرق .

تأخذ فيها الروح حمّاما من الكسل معطراً بالأسف والرغبة . إنه شىء خفى ضارب أى الزرقة وإلى الوردية ، حلم الشهوة أثناء الأقول .

للأثاث فيها أشكال مستطيلة ، هشة خاملة ، للأثاث مظهر الحالم كأنما وهبت له حياة السير أثناء النوم كالنبات والمعدن ؛ فالنسيج يتحدث لغة صامته كالأزهار ، كالسماوات ، كالشموس الغارية وليس على الجدران فن كرية ، وقياسا بالحلم النقى والانطباع الذى لا يحلل ، يصبح الفن المحدود ، الفن الوضعى^(١) تجديفاً . أما هنا فكل شىء يغمره الضوء الكافى والغموض اللذيذ للتناسق .

وتسبح أضغاث عبير ، تم اختياره على نحو رائع ، ممتزجا برطوبة خفيفة تماما ، مع ذلك الجو ، حيث الروح نعسانة تدغدغها أحاسيس حزن دافئ .

ويمطر الحرير الموصلى بغزارة أمام النوافذ وأمام السرير ، إنه يصب شلالات ثلجية ؛ فعلى هذا السرير ترقد المعبودة ملكة الأحلام ، ولكن كيف جاءت إلى هنا ؟ من أحضرها ؟ أى سطوة سحرية نصبتها على هذا العرش ، عرش الأحلام والشهوة ؟ ماذا يهم ؟ إنها هنا .. وإنى لأعرفها .

(١) كان بودلير يرفض المادية الوضعية .

هاتان هما العينان اللتان يخترق لهما الغسق ، وتلك هي المفاتن
المراوغة المفزعة التي عرفتها في مكرها المرعب ! إنها تجذب ، إنها
تستعبد ، إنها تخطف بصر الكائن الذي يتأملها . لقد خبرتها مرارا ،
تلك النجوم السوداء التي تثير الفضول والإعجاب .

أى شيطانة عطوف أدين لها بما يحيطنى هكذا من الغموض
والصمت والسلام والعطر ؟ أيتها الغبطة ! ذلك أن ما ندعوه بالحياة
عموما حتى مع اتساع سعادته القصوى لاعلاقة له بهذه الحياة السامية
التي أعرفها الآن ، والتي أتذوقها دقيقة بدقيقة ، وثانية بثانية .

لا ، لم تعد هناك دقائق ، ولم تعد هناك ثوان ، لقد اختفى الزمن .
إنها الأبدية التي تسود ، أبدية الملذات !

ولكن طرقا مفزعا ثقيلا دوى على الباب ، وكما فى الأحلام
الجهنمية ، خيل إلى أنى تلقيت طعنة معول فى معدتى .

ثم دخل شبح ، إنه المحضِر الذى جاء يعذبنى باسم القانون ،
أو محظية سيئة السمعة جاءت تشكو بؤسها وتضيف تفاهات حياتها
إلى ألامى ، أو لعله المندوب الوثاب لأحد مديرى الصحف جاء يطالب
ببقية المخطوط .

فالعرفة الفردوسية ، والمعبودة ملكة الأحلام ، السلفيد^(١) كما قال
رينيه العظيم ، كل هذا السحر قد اختفى بطرقة حمقاء من طرقات
الشبح .

(١) هى أنثى الجن فى الأساطير السلتيّة ، وهى فاتنة رشيقه لعوب .

ياالفظاعة ! إنى لأنكر ! إنى لأنكر ! نعم ! هذا الكوخ ، هذه الإقامة للضجر الأبدى هى إقامتى . وها هو الأثاث الأحمق معفر مكسور الزوايا ، وهذه المدفأة بلا لهب ولا فحم ، ملوثة بالبصاق ، والنوافذ الكئيبة حيث المطر قد رسم أشكالا لأخاديد فى الغبار ، والمخطوطات مشطوبة ، أو غير كاملة ، والتقويم حيث خط قلم الرصاص علامات تحدد المواعيد المشئومة !

وذلك العطر الذى يأتى من عالم آخر والذى كان يسكرنى بحساسية فائقة ، يالأسف ، قد استحال إلى رائحة تبغ كريهة مختلطة بشيء عفن مثير للغثيان حيث يتنفس المرء الآن بشاعة الأسى ، فى هذا العالم الضيق الملىء مع ذلك بالاشمئزاز ، شيء واحد معروف تبسم لى ، قارورة دواء الأفيون ، صديقة عجوز مرعبة ككل الصديقات ، يالاحسرة ، غنية بمداعباتها وغنية بخياناتها !

أه .. نعم ! لقد عاود الزمن الظهور ، وهو يحكم سيطرته الآن ، فقد استأنف مع العجوز القبيحة موكبه الشيطانى ، موكب الذكريات ، والحسرات والتشنجات والمخاوف ، والقلق ، والكوابيس ، والغضب ، والعصاب ! إنى أؤكد لك أن الثوانى الآن صار لها حضور قوى ، تقول كل منها وهى تنبثق من ساعة الحائط : « إبنى الحياة التى لاتطاق ، الحياة التى لاترحم ! »

وليس فى الحياة الإنسانية إلا ثانية واحدة لها مهمة الإعلان عن خبر سعيد ، ذلك الخبر السعيد الذى يسبب لكل إنسان من الخوف مالا يمكن سبر أغواره .

نعم ! إن الزمن يحكم ، لقد استعاد طغيانه الفظ إنه يدفعنى كما لو كنت ثورا ، بمهمازه المزدوج - « فارفع خوارك إذن أيها العنيد ! واعرق إذن أيها العبد ! وعش إذن ملعونا ! »

لكلُّ وحشبه الخرافى

Chucun Sa Chimere

تحت سماء رمادية فسيحة ، فى سهل فسيح مغبر ، دون طرق ، دون عشب ، دون نباتات شوكية قابلت رجالا كثيرين يسرون فى انحاء .
يحمل كل منهم على ظهره وحشا خرافيا هائلا ، ثقيلًا كأنه كيس من دقيق أو فحم أو عدة جندي مشاة روماني .

ولكن البهيمة الوحشية لم تكن ثقلا خامدا ، على العكس كانت تحتوى الرجل منهم وتخضعه بعضلاتها المرنة القوية ، كانت تقبض على صدر مطيتها بمخالبها الغليظين ، وكان رأسها الأسطوري يعلو جبهة الرجل كواحدة من تلك الخوذات الرهيبة التي كان المحاربون القدماء يتعشمون أن يضيفوا بها رعبا إلى رعب عدوهم .

سألت واحدا من هؤلاء الرجال طالبا منه أن يخبرني أين يذهبون هكذا ، فأجابني أنه لايعرف شيئا ، لا هو ولا الآخرون ، ولكن من الواضح أنهم كانوا ذاهبين إلى جهة ما ، حيث كانوا مدفوعين بحاجة لاتقاوم إلى المسير .

والشيء الجدير بالملاحظة ، أن أحداً من هؤلاء المسافرين لم يكن يبدو عليه الضيق من تلك البهيمة المتوحشة المعلقة برقبته والملتصقة بظهره ، كما لو كانت جزءا من جسده ، ولم تكن هذه الوجوه المتعبة والجادة تفصح عن شيء من يأس تحت قبة السماء المضجرة ، كانوا يسرون فى طريقهم بسحنة مستسلمة ، سحنة أولئك الذين حكم عليهم بالأمل دائما .

مر الموكب بجاني وغباب في جو الأفق حيث يغيب سطح الكوكب
المستدير عن فضول نظر الإنسان ، ولبضع لحظات حاولت جاهداً أن
أفهم هذا اللغز ، ولكن ما لبثت عدم الاكثرات أن غلبني بسطوته التي
لا تُقاوم ، وأثقل كاهلي أكثر من وحوشهم الساحقة التي ينوعون بحملها !

المجنون وقينوس

Le Fou Et La Venus

كم هو فاتن هذا الصباح ! فالبستان الواسع مستغرق في نشوته
تحت عين الشمس المشتعلة كالصبا تحت سطوة الحب .

إن النشوة الكونية للأشياء لاتعبر عن نفسها بأى ضجيج ؛ فالمياه
نفسها وكأنها نائمة ، وعلى خلاف أعياد البشر فإن هذا العيد عرس
صامت .

وكان ضوء متزايد يضيف على الأشياء أروع البريق ، والأزهار
المستشارة تشتعل بالرغبة في منافسة لازورد السماء بنصاعة ألوانها ،
والحرارة التي جعلت العطور مرئية ، جعلتها تصعد إلى النجوم
كالأدخنة .

غير أنى في غمرة هذا الفرح الكونى لمحت كائنا محزوننا ، فتحت
أقدام تمثال هائل لقينوس ، كان واحد من أولئك المجانين المصطنعين ،
واحد من أولئك المهرجين المتطوعين الذين يأخذون على عاتقهم إضحاك
الملوك حين يستحوذ عليهم الندم أو السأم ، يتزيا بزى غريب ، لامع
ومثير للسخرية ، ويغطى رأسه بقرون ، وأجراس صغيرة ، قد تكوم تحت
قاعدة التمثال ، ورفع عينيه المليئتين بالدموع إلى الإلهة الخالدة .

كانت عيناه تقولان : « إنى آخر البشر وأكثرهم عزلة ، وقد حرمت
من الحب ومن الصداقة ، وصرت لهذا أشد حقارة من أكثر الحيوانات

نقصا ، إلا أنى خلقت أنا أيضا لتفهم الجمال الخالد والإحساس به ،
فكونى ، أيتها الإلهة ، رحيمة بحزنى وألمى ! «
ولكن قينوس التى لاتعرف الرحمة ، تنظر بعيداً إلى حيث لا أدرى ،
بعينها الرخاميتين !

الكلب والقارورة

Le Chien Et Le Flacon

- « يا كلبى الجميل ، يا كلبى الطيب ، يا عزيزى المدلل ، اقترب وتعال لتستنشق عطراً فاغماً اشتريته من أعظم بائع للعطور فى المدينة . »

أخذ الكلب يحرك ذنبه ، فيما يعد على ما أعتقد علامة عند هذه المخلوقات المسكينة تعادل الضحك والابتسام ، واقترب واضعاً أنفه الرطب فى فضول على القارورة التى رفعت عنها سدادتها ، ثم تراجع فجأة فى فزع ، وأخذ ينبح فى وجهى مؤنباً .

- « أه .. أيها الكلب البائس ، لو أنى قدمت إليك كمية من النفائات لتشمتها فى لذة وربما التهمتها »

وهكذا ، أيها الرفيق غير الجديد بحياتى الحزينة ، تشبه أنت نفسك الجمهور الذى ينبغى ألا نقدم إليه على الإطلاق العطور الرقيقة التى ينفر منها ، ولكن علينا بتقديم القانورات المنتقاة بعناية !

البائع السيئ للزجاج

Le Mauvais vitrier

ثمة طبائع تجيد التأمل، ولكنها لا تصلح للعمل على الإطلاق وتحت تأثير دافع غامض غير معروف تتصرف أحيانا باندفاع لم تكن تعتقد هي نفسها أنها قادرة على.

كذلك الذى يخشى أن يجد خبيرا غير سار عند حارس عمارته، فيظل ساعة يدور فى جبن أمام الباب دون أن يجرؤ على الدخول، وكمن يحتفظ بخطاب لمدة خمسة عشر يوما دون أن يفضيه، أو من لم يدعن، إلا بعد انقضاء ستة أشهر، للقيام بمسعى كان ضروريا منذ سنة مضت، فيشعر على نحو مفاجئ أحيانا بأنه مدفوع إلى العمل بقوة لاتقاوم كسهم القوس، حتى إن عالم الأخلاق والطبيب اللذين يتظاهران بالمعرفة الشاملة ليس بمقدورهما أن يفسرا من أين تأتي هذه الطاقة الجنونية، على حين غرة، إلى هذه النفوس الخاملة والشهوانية، وكيف وهم عاجزون عن أداء أشياء أكثر بساطة وأكثر ضرورة يجدون، فى لحظات معينة، شجاعة فائقة للقيام بأشد الأفعال عبثية وأكثرها خطورة فى أغلب الأحوال .

لقد أقدم أحد أصدقائى، وهو أكثر الناس أحلاما ووداعة منذ وجد البشر على إضرام النار، ذات مرة، فى إحدى الغابات، ليرى - على حد قوله - ما إذا كانت النار تشتعل بالقدر نفسه من السهولة التى يؤكدتها المرء بصفة عامة، وفشلت التجربة عشر مرات على التوالى، ولكنها فى المرة الحادية عشرة نجحت نجاحاً مذهلاً.

وأشعل آخر سيجارا بجانب برميل من البارود، ليرى، ليعرف،
ليجرب حظه، ليجبر نفسه على تقديم برهان على وجود طاقة كامنة به
وكأنه لاعب، ليتعرف على مسرات القلق، للاشيء إلا لنزوة، أو لأنه لا يجد
ما يفعله .

هذا نوع من الطاقة التي تنبثق من الضجر ومن أحلام اليقظة، ومن
تلك الأشياء التي يظهر منها بوضوح - كما قلت - أنهم أكثر الناس
خمولا وأكثرهم أحلاما .

وأخر كان خجولا إلى هذه الدرجة التي يفض فيها البصر أمام
نظرات الرجال، لدرجة أنه كان يتعين عليه أن يجمع كل إرادته البائسة
للدخول إلى مقهى أو المرور أمام شباك تذاكر مسرح حيث يبدو له
المراقبون وقد غمرتهم جلال (مينوس وإيك ورادامانت)، كان هذا الخجول
يقفز فجأة على رقبة عجوز يمر بجواره ويعانقه بحماسة أمام دهشة
الجمهور، لماذا ؟ لأن .. لأن سحنة الوجه هذه جعلته متعاطفا معها على
نحو لايقاوم، ربما .. ولكن الأكثر ملاءمة أن نفترض أنه هو نفسه لا
يعرف السبب .

لقد كنت أكثر من مرة ضحية لهذه الأزمات وهذه النزوات التي
تحملنا على الاعتقاد أن شياطين شريرة تتزلق علينا وتجعلنا ننفذ، بغير
وعى منا أشد رغباتها عبثية .

وذات صباح، صحوت عابسا، حزينا، متعبا من البطالة، ومدفوعا
كما أحسب إلى عمل شيء عظيم، عمل ذى بريق، وفتحت النافذة ..
وياللأسف !

(أرجوكم أن تلاحظوا أن روح الخداع التي لا تأتي عند بعض الأشخاص نتيجة لعمل أو تدبير، بل نتيجة إلهام فجائي، تسهم كثيرا أو بحمية الرغبة على أقل تقدير في هذا المزاج، الهستيري حسب رأى الأطباء، الشيطاني حسب قول من يفكرون أفضل قليلا من الأطباء، هي التي تدفعنا دون مقاومة نحو حشد من الأعمال الخطرة أو غير اللائقة).

كان أول شخص لمحته في الشارع بائعا للزجاج، كان نداؤه صراخا ثاقبا، ناشرا صعد إلى عبر الجو الباريسي الثقيل الملوث، ومن جهة أخرى، سيكون من الصعب على أن أقول لماذا شعرت نحو هذا الرجل المسكين بحقد مفاجئ طاغ.

- «أنت يا ...!» ناديته أن يصعد، وبينما كنت أفكر، على نحو لا يخلو من فرح لوجود الغرفة في الطابق السادس وضيق السلم الشديد، أن الرجل لابد أن يعانى بعض الألم أثناء صعوده، وأن زوايا بضاعته الهشة سوف تعلق بأكثر من موضع.

ووصل أخيرا، فتفحصت في تطفل كل ما معه من زجاج وقلت له: «كيف؟ أليس معك زجاج ملون؟ زجاج وردي، وأحمر، وأزرق، وزجاج سحري، وزجاج من الجنة؟ وبوقاحتك هذه تجرؤ على التجول في الأحياء الفقيرة وليس لديك حتى الزجاج الذي يجعل رؤية الحياة جميلة؟!» ودفعتة بعنف إلى السلم حيث تعثر متذمرا.

واقتربت من الشرفة وأمسكت بإناء زهر صغير، وعندما خرج الرجل من منفذ الباب، تركت آلة حربي تسقط عمودية على الحافة الخلفية لحمولته، فقلبته الصدمة، وتسببت في أن تتحطم تحت ظهره كل

ثروته الفقيرة المتقلبة محدثة ضجة هائلة كقصر من البلور نزلت به
صاعقة .

وصرخت فيه غاضباً بحماقتي:

- « الحياة جميلة ! الحياة جميلة ! »

هذا المزاج العصبى لا يمر بون خطر، وقد يكلف المرء ثمناً غالياً.
ولكن ما جدوى أبدية اللعنة عند من وجد فى ثانية اللذة اللامتناهية؟

فى الساعة الواحدة صباحاً

A Une Heure Du Matin

أخيراً ! وحدى ! لم يعد يتناهى إلى السمع سوى دحرجة بعض العربات المتأخرة المرهقة، خلال بضع ساعات، سنمتلك الصمت أو الراحة على الأقل ، أخيراً اختفى طغيان الوجه البشرى، ولن أعود إلى معاناة إلا وجودى نفسه .

أخيراً سمح لى أن أستريح فى حمام من الظلمات، سأقوم أولاً بإغلاق الباب جيداً؛ إذ يبدو لى أن دورة المفتاح هذه ستزيد من عزلتى، وتعزز التحصينات التى تفصلنى حالياً عن العالم .

حياة مرعبة ! مدينة مرعبة ! فلنراجع هذا اليوم: رؤيتى لبعض الأدباء الذين سألنى واحد منهم عما إذا كان فى مقدور المرء أن يسافر إلى روسيا عن طريق البر (لقد تصور روسيا جزيرة بلاشك)، جدل مستفيض ضد مدير إحدى المجلات الذى كان يجيبنى على كل اعتراض قائلاً: «هنا حزب الرجال الشرفاء» مما يعنى ضمناً أن كل الصحف الأخرى يحررها أوغاد ، سلامى على عشرين شخصاً، أعرف منهم خمسة عشر، توزيعى نفس النسبة من المصافحة باليد دون أخذ احتياطات بشرية قفاز ، صعوبى لقتل الوقت أثناء هطول المطر عند امرأة لعوب أخذت ترجونى أن أصمم لها بدلة من بدل (فينستر)، توددى إلى مدير مسرح قال لى وهو يصرفنى: «ربما كان من الأفضل لك أن تخاطب (ز...) وهو أثقل كتابى وأكثرهم حماقة وشهرة، ربما استطعت أن

تتوصل معه إلى شيء ، اذهب لمقابله وسنرى حينئذ» ، تفاخرى (لماذا) بكثير من الأفعال الشريرة التي لم أرتكبها أبداً ، إنكارى فى جن بعض الإساءات الأخرى التي اقترفتھا فى تلذذ، رذيلة التبجح، جريمة احترام البشر، رفضى خدمة سهلة لصديق، وإعطائى توصية كتابية لأحمق غريب الأطوار، أوف ! هل انتهى هذا ؟

ولأنى مستاء من الجميع ، ومستاء من نفسى ، فلقد أردت أن أستجمع ذاتى وأسترد كبريائى فى صمت الليل وعزلته ، فى أرواح من أحببت ، يا أرواح من غنيت ، ساندينى ، وشدى من أزدى ، وأبعدى عنى الكذب وأبخرة العالم الفاسدة ، وأنت يا سيدى ! يا إلهى ! وفقنى إلى فضيلة خلق بعض الأشعار الجميلة التي تثبت لى أنا نفسى أنتى لست آخر الرجال ، وأنتى لست أقل من أولئك الذين أحتقرهم !

الزوجة المتوحشة والعشيقة الشابّة

La Femme Sauvage

El La Petite Maitresse

« حقا ، يا عزيزتى ، إنك ترهقيننى بلاحد وبلا شفقة ، حتى ليبدو الأمر عند سماعك تتنهدين وكأنتك تقاسين أكثر من العجائز اللاتي بلغن الستين من جامعات السنابل المتبقية بعد الحصاد ، وأكثر من المتسولات اللاتي يلتقطن لقيمات الخبز أمام أبواب الملاهى الليلية »

ولو كانت تنهداتك ، على الأقل ، تعبر عن الندم ، لأسبغ هذا عليك بعض الشرف ، ولكنها لاتعبر إلا عن الشبع من رفاهية العيش وإعياء الراحة ، ثم إنك لاتوقفين سيل كلماتك غير المجدية : « أحبونى بعمق ، إنى بحاجة ماسة إلى حبكم ، خففوا عنى بهذا داعبونى بذاك » .

أمسكى ، إنى أرغب فى محاولة إشفائك ، فلربما وجدنا وسيلة زهيدة الثمن وسط حفل ودون الذهاب بعيدا .

تأملى جيدا ، أرجوك ، هذا القفص الحديدى المتين الذى يتحرك فى داخله صارخا كملعون ، يهز القضبان كإنسان الغابة الذى يسخره النفى ، مقلدا بكل إتقان قفزات النمر الدائرية تارة ، وتارة تخطرات الدب الأبيض السمجة ، وذلك الوحش المشعر الذى تشبه هيئته - على نحو ما - هيئتك .

هذا الوحش هو أحد الحيوانات التى نسميها بصفة عامة : « ملاكى » ، أى زوجة ، أما الوحش الآخر الذى يصيح بصوت عال ،

وعصاه فى يده ، فهو زوج ، وقد كبل زوجته الشرعية بالأغلال كبهيمة ، ويعرضها فى الضواحي ، أيام السوق ، بتصريح من القضاة ، بطبيعة الحال .

انتبهى جيداً ! انظرى بأى نهم « وربما كان غير مصطنع » تمزق الأرانب الحية والدواجن الصائحة التى يلقوها إليها حارسها ، ويقول : « هيا ! يجب ألا تأكلوا كل ما عندكم من خير فى يوم واحد » وعند هذه الكلمة الحكيمة ، ينزع منها الفريسة بشراسة بينما تظل الأمعاء الفارغة معلقة للحظة على أسنان البهيمة المفترسة ، أقصد أسنان الزوجة .

« هيا ! » وضربة قوية بالعصا لتهديتها ؛ لأنها حدقت بعينيها المرعبتين فى اشتهاء إلى الغذاء المنتزع منها ، يا إلهى العظيم لم تكن العصا مجرد فكاهة ، هل سمعتم أنين اللحم رغم الشعر الزائف ؟ لهذا خرجت العينان الآن من الرأس وراحت المرأة تعوى على نحو أكثر طبيعية ، وفى غضبها كانت تتوهج تماما كالحديد عند طرقه .

تلك هى الأعراف الزوجية عند هذين المنحدرين من سلالة آدم وحواء ، وهما من صنع يدك ياربى . إن هذه المرأة تعسة بلا مرأى . وبالرغم من كل شىء ، فإن أفراح المجد المدغدغة ربما لم تكن مجهولة لديها ، وثمة من التعاسات مالا يمكن علاجه ودون أى تعويض ، ولكن ليس فى هذا العالم الذى ألقيت فيه من يستطيع التصديق أبداً أن المرأة استحقت مصيراً آخر .

« والآن لنعد إلينا نحن الاثنين ، يا عزيزتى الغالية ! عند رؤية سكان الجحيم الذين يعمرّون العالم ، كيف تريدن منى أن أفكر فى جحيمك الجميل ، وأنت التى لاترتاح إلا على أنسجة ناعمة نعومة بشرتها ولا

تأكل إلا من اللحم المطهى ، والتي من أجلها يقوم خادم بارع بتقطيع الشرائح ؟ » .

وماذا بوسع هذه التتهيدات الصغيرة ، التي تملأ صدرك العطر ، أيتها المتأنقة قوية البنيان ، أن تعنى بالنسبة لى ؟ وكل هذه العواطف المتصنعة التي تفيض بها الكتب ، وهذه الكأبة التي لا تنقطع ، أيقصد بها أن تلهم المشاهد عاطفة أخرى غير الشفقة ؟ ففي الحق أنى تأخذنى الرغبة أحيانا فى تعليمك معنى التعاسة الحقيقية .

وعند رؤيتك هكذا ، يا جميلتى الرقيقة ، الأقدام فى الوحل ، والعيون قد شخصت دامعة إلى السماء كأنها تسألها ملكا ، فإنك تشبهين على الأرجح ضفدعة صغيرة كانت تبتهل إلى المثال ؛ فإن تحتقرى الرجل الضعيف (الذى هو أنا الآن كما تعرفين جيدا) فاحذرى هذا الكركى الذى سيلتهمك ويبتلعك ويقتلك كما يحلو له .

« ومهما كنت شاعرا ، فلست سازجا إلى الحد الذى تريدين أن تصدقيه ، وإذا أرهقتنى كثيرا بنوبات البكاء المتكلفة ، فسوف أعاملك معاملة الزوجة المتوحشة ، أو سألقى بك من النافذة كزجاجة فارغة ! » .

الجماهير

Les Foules

أن يلتف حولك البشر ، ليس مما يوهب لكل إنسان فالتمتع بالجمهور فن ، وهذا وحده يمكن أن يمنح دفعة من الحيوية لمن نفخت جنية في مهده حب التنكر والقناع ، وبُغض الإقامة وعشق الرحيل .

فالاختلاط والعزلة مصطلحان متساويان وقابلان للتحويل عند الشاعر النشيط خصيب الإنتاج ، الذي لا يعرف كيف يملأ عزلة بالناس ، ولا يعرف إلا أنه وحيد وسط جمهور مشغول بأموره .

إن الشاعر يتمتع بذلك الامتياز الذي لا يقارن وهو أن يكون نفسه والآخرين ، ومثل تلك الأرواح الشاردة التي تبحث عن أجساد ، يدخل حين يشاء شخصية كل إنسان ؛ فكل الأشياء شاغرة بالنسبة له وحده ، وإذا بدت له بعض الأماكن مغلقة دونه فذلك لأنها في نظره لاتستحق عناء الزيارة .

ومن يتنزه وحده متأملا يستخلص نشوة فريدة من ذلك الاتحاد بالكون ؛ فمن يتألف مع الجماهير بسهولة يعرف الأفراح المحمومة التي يظل الذاتى محروما منها على نحو أبدي ، مغلقا كصندوق ، ويظل الكسول مسجوننا كأحد الرخويات ؛ فهو يتبنى مثلهم كل المهن وكل الملذات ، وكل ألوان البؤس التي تواجهها بها الظروف .

إن ما يصفه البشر بأنه حب صغير جداً ، ومحدود جداً ، وضعيف جداً إذا قورن بهذا العرس الذي لا يوصف ، وبهذا البغاء المقدس للروح التي تمنح نفسها تماماً شعراً وإحساناً لأول قادم غير منتظر ، ولهذا المجهول الذي يمر .

من الخير أحياناً أن نعلم سعادة هذا العائم ، ولو لإذلال كبرياتهم الأحمق للحظة ، أن هناك سعادات أسمى من سعاداتهم ، وأكثر رحابة ونقاء ، ودون ريب ، يعرف مؤسسو المستعمرات ، ورعاة الشعوب ، وكهنة إرساليات التبشير المنفيون في أقصى العام ، شيئاً ما عن هذه المسرات الغامضة ، وفي صدر الأسرة الكبيرة التي كونتها عبقريتهم ، لاريب أنهم يسخرون أحياناً من هؤلاء الذين يرثون حظهم شديد الاضطراب وحياتهم شديدة التعفف .

الأرامل

Les Veuves

يقول فوفينارج^(١) إن في الحدايق العامة ممرات مسكونة على نحو أساسى ، بالطموح الخائب ، وبالمخترعين سيئى الحظ ، والأمجاد المجهضة ، والقلوب الكسيرة ، وكل هذه الأرواح الصاخبة والسجينة التى ماتزال تصعد منها الزفرات الأخيرة لعاصفة ، فتتوارى عن الأنظار الوقحة للسعداء والعاطلين ، وهذه الأماكن المنعزلة الظليلة هى ملتقى صرعى الحياة .

ونحو هذه الأماكن خاصة ، يحب الشاعر والفيلسوف أن يوجها حدسهما النهم ؛ ففيها مرعى مؤكد . وإذا كان هناك مكان يحتقران أن يزوراه كما ألمحت منذ قليل ، فهو فرح الأغنياء على وجه الخصوص ، فليس فى هذا الصخب الفارغ ما يجتذبهم ، بل على العكس ، يشعران - على نحو لايقاوم - بميل إلى كل ما هو ضعيف ، وخرب ، ومحزون ، ويتيم .

إن العين الخبيرة لاتخطئ هذا أبدا فى تلك الملامح القاسية أو المهزومة ، فى تلك العيون الكهوف الكليية والتى مازالت تومض بأخر

(١) هو الكاتب الفرنسى لوك دى كلاييه ، ماركيز دى فوفينارج ، Luc de clapiers Marquis de Vauvenargues : ولد فى مدينة إكس أون بروفانس عام ١٧١٥ - وانضم إلى الخدمة العسكرية حتى صار قائدا واشترك فى عدة حملات ، اضطر إلى الاستقالة لضعف صحته . تحول إلى الأدب وكتب مقدمة للتعرف على الروح الانسانية عام ١٧٤٦ وتأملات وحكم ، كان يميل إلى عقد مصالحة بين العقل والعاطفة ، مما يعتبر إرهابا مبكرا للرومانسية أعجب به فولتير لفصاحته وشجاعته ، توفى عام ١٧٤٧ وهى فى الثانية والثلاثين .

بريق للصراع ، فى تلك التجاعيد العميقة والكثيرة ، وفى تلك الخطوات المترنحة شديدة البطء ، تكتشف على الفور سر الأساطير التى لاتحصى للحب المخفق ، وللإخلاص الذى لم يقدر حق قدره ، وللجهود التى لم تكافأ ، وللجوع والبرد اللذين تم احتمالهما فى صمت وتواضع .

هل لمحتم أحيانا أرامل على هذه المقاعد المنعزلة ، أرامل فقيرات ؟ وسواء كن فى ملابس الحداد أو لم يكن ، فإن من السهل التعرف عليهن . ومن جهة أخرى ، دائماً ما يكون هناك شىء ناقص فى حداد الفقير ، غياب الانسجام مما يجعل الأمر مؤسفاً ؛ فهو مضطر أن يشح فى إظهار ألمه ، بينما يمضى الغنى فى ألمه إلى أقصى حد .

من هذه الأرملة الأشد حزناً ، والأكثر إثارة للحزن ، أهي تلك التى تسحب بيدها طفلاً لاتستطيع أن تشاركه أحلامها ، أم تلك الوحيدة تماماً ؟ إنى لا أعرف . لقد حدث ذات مرة أن تتبعت خلال الساعات الطويلة ، عجوزاً محزونة من هذه الفصيلة ، كانت متصلة مستقيمة تحت شال صغير رث ، تحمل فى كل كيانها كبرياء الرواقى .

كان من الواضح أن عزلتها المطلقة قد حكمت عليها بعبادات العجوز الأعزب ، وأضاف الطابع الذكورى لأخلاقه ، حدة غامضة على تقشفها ، لا أعرف فى أى مقهى بائس أو بأى طريقة تناولت غداءها ، تتبعتها إلى حجرة القراءة فى أثناء بحثها فى المجلات بعيون أحرقها الدمع يوماً ، عن أخبار لها أهمية كبرى وشخصية .

وأخيراً ، فى الظهيرة ، تحت سماء خريفية ساحرة ، إحدى تلك السماوات التى تنتزل منها على الناس الأحزان والذكريات ، جلست منعزلة فى حديقة ، لتسمع بعيداً عن الجمهور ، واحدة من تلك الحفلات الموسيقية ، التى توهب فيها الموسيقى العسكرية ، إلى الشعب الباريسى .

كان هذا ولا ريب الفجور البسيط لتلك العجوز البريئة (أو هذه العجوز المتطهرة) والعزاء الذي كانت تحصل عليه فى هذه الصباحات الثقيلة التى تمر دون صديق ، دون محادثة ، دون فرح ، دون نجى ، العزاء الذى أنعم به الله عليها ، ربما منذ أعوام ، خمسا وستين مرة وثلاثمائة فى العام .

وكذلك واحدة أخرى :

لم أستطع أن أمنع نفسى من إلقاء نظرة إن لم تكن وبدودة بشكل عام فعلى الأقل فضولية ، إلى حشد المنبوزين الذين يتزاحمون حول سور دار للحفلات الموسيقية العامة ، كانت الأوركسترا تعزف خلال الليل أغانى العيد عن النصر أو اللذة ، وكانت الثياب تنسحب متلائة والنظرات تتلاقى ، والعاطلون مرهقون من كونهم لا يعملون شيئا ، يتخطرون متظاهرين فى فتور بتذوق الموسيقى ، وليس هنا إلا ما ينم عن الغنى والسعادة ، وما يتنفس ويلهم اللامبالاة والمسرة وانطلاق الحياة . لاشيء إلا مشهد العامة التى تضغط على الحاجز الخارجى ، وتقتنص مجانا ، قطعة موسيقية من قبضة الريح ، وهى تنظر إلى السعير المتوهج فى الداخل .

من الممتع دائما أن ينعكس فرح الأغنياء أغوار عيون الفقراء ولكنى فى ذلك اليوم ، بين الناس الذين يرتدون صديريات وملابس قطنية مشجرة ، لمحت كائنا تشع النبالة من وجهه فى تناقص ظاهر مع كل التفاهات المحيطة.

كانت تلك امرأة رائعة ، مهيبة كملكة ، وفائقة فى كل هيأتها ، حتى إنى لأذكر أنى رأيت نظيرا لها فى مجموعة فانتات أرسنقراطية الماضى ،

ينبعث عطر الفضيلة الرفيع من شخصها كله ، وجهها حزين ونحيل في توافق كامل مع هذا الحداد العميق الذي كان يكتفها ، وكانت مثل العوام بين الذين اختلطت بهم ولم تكن تراهم ، كانت تنظر إلى العالم المضيء بعيون عميقة ، مصغية وهي تهز رأسها في رفق .

رؤية فريدة ! وقلت لنفسى : « بالتأكيد ، هذا الفقر ، إذا كان هناك فقر ، يجب ألا يسمح بالشح الرديء على النفس ودليلي على هذا ذلك الوجه البالغ . لماذا إذن تبقى طواعية في هذا الوسط حيث تشبه بقعة مضيئة ؟ »

ولكن عند مروري بالقرب منها مستطلعا ، أعتقد أني خمنت السبب ، كانت الأرملة الفخمة تمسك في يدها طفلا متشحا مثلها بالسواد ، ومهما كان ثمن تذكرة الدخول زهيدا فإن هذا الثمن ربما كان كافيا لشراء شيء لهذا الكائن الصغير ، ربما كان شيئاً زائداً عن الحاجة ، مجرد لعبة .

وسوف تعود ثانية على قدميها وحاملة ، وحيدة ودائماً وحيدة ، لأن الطفل صاحب وأناى بلا وداعة وبلا صبر ، ولا يستطيع هو نفسه ، مثل الحيوان الساذج كالكلب والقط ، أن يقوم بدور النجى عن البوح بالأم العزلة !

المهرج العجوز

Les Veuves Saltimbanque

فى كل مكان ، كان الناس فى عطلة ، يتمددون وينتشرون ويمرحون ، فقد كان هذا أحد أيام العيد التى يستعد المهرجون والبهلوانات ، ومدربو الحيوانات ، والباعة المتجولون ، قبلها بزمن طويل ، للكسب والادخار لتعويض المواسم السيئة فى العام .

يبدو لى أن الناس فى تلك الأيام ينسون كل شىء ، الألم والعمل ، ويتصرفون كأطفال ، وكان هذا يوم أجازة بالنسبة للصغار ، يتأجل فيها كره المدرسة أربعاً وعشرين ساعة ، وبالنسبة للكبار كان هدنة تعقد مع قوى الحياة الشريرة ، إرجاء للمشاحنات والصراعات الكونية .

وحتى رجل المجتمع نفسه ، الرجل الذى تشغله المهام الروحية ، لايفلتان بسهولة من تأثير هذا المهرجان الشعبى ، فهما يستمتعان ، حتى ولو لم يرغبيا ، بنصيبهما من هذا الجو الحالى من الهموم ، أما بالنسبة لى ، فلم أفوت أبداً ، بوصفى باريسيا حقيقا ، فرصة المرور على كل الكبائن التى تعرض ما عندها متباهية فى تل الأيام الاحتفالية .

وفى الحق ، أنها كانت تستمر فى منافسة شديدة ، صارخة ، مطلقة للخوار والدوى ، وكان هذا من اختلاط الصياح ، بانفجارات آلات النفخ النحاسية وفرقة الصواريخ .

وكان الشياطين ذوو الذيول الحمر ، والحمقى وهم يلوون قسماات وجوههم التى جفت وتصلبت بفعل الريح والمطر والشمس ، ينطلقون ،

مع اعتداد الممثلين الهزليين بأنفسهم وتأكدهم من تأثيراتهم ، وبالطرائف والنكات فى فكاهة جامدة ثقيلة كفكاهة مولير ، والهرقليون فخورون بضخامة أعضائهم ، دون جبة ودون جمجمة كقردة إنسان الغابة ، يختالون فى أبهة بأقمطتهم المغسولة بالأمس من أجل هذه المناسبة ، وكانت الراقصات جميلات كالجنيات أو الأميرات يقفزن ويستعرضن فى تفاخر على ضوء الفوانيس التى جعلت تنوراتهن تتلألأ .

ولم يكن هناك إلا الضوء ، والغبار ، والصرخات ، والسعادة والزئير ، وكان البعض يدفعون النقود والآخرين يكسبونها ، ولكنهم جميعا كانوا متساوين فى الفرح ، وكان الأطفال يتعلقون بتنورات أمهاتهم ليحصلوا على قطعة من الحلوى ، أو يصعدون على أكتاف آبائهم ليتمكنوا من رؤية أوضح للساحر الذى كان يبهرهم كإله . وفى كل الأرجاء المحيطة كانت تسيطر على كل العطور رائحة القلى التى كانت بمثابة البخور فى هذا العيد .

وفى النهاية ، فى أقصى نهاية صف الكبائن ، كما ولو كان خجلاً ، قد نفى نفسه عن كل هذه المباهج ، رأيت مهرجاً فقيراً ، منحنيًا ، هشاً مقعداً ، حطام رجل ، يستند بظهره إلى عمود من أعمدة كوخه الذى كان أبأس من كوخ أحط المتوحشين ، وكان عقبا شمعتين يذوبان ويدخان ويكشفان عن محنته بوضوح أيضاً .

فى كل مكان ، كان الفرح ، والريح ، والانغماس فى الشهوات ، فى كل مكان كان تأمين الخبز للغد ، فى كل مكان كان الانفجار المسعور للحيوية ، أما هنا فالبؤس المطلق ، بؤس لذروة المأساة مزين بخرق مضحكة ، حيث كانت الحاجة ، أكثر بكثير من الفن ، هى التى صنعت

هذا التناقض ، ولم يكن المسكين يضحك ، ولم يكن يبكي ، ولم يكن يرقص ، ولم يكن يوميء ، ولم يكن يصرخ ، ولم يكن يغنى أى أغنية ، لامرحة ولا حزينة ، ولم يكن يبتهل ، كان أخرس ، وبلا حركة ، كان قد زهد فى الدنيا ، وتخلى عن حقه فى الحياة وقد تحدد مصيره .

ولكن أى نظرة عميقة لا تُنسى كان يرنو بها إلى الزحام والأضواء التى كانت كتلتها المتحركة تتوقف على بعد خطوات من يؤسه المنفر ، شعرت بحلقى يضيق تحت يد الهستيريا المرعبة ، وبدا لى أن عينى قد غامت بتلك الدموع المتمردة التى لا تريد أن تسقط .

ما العمل ؟ ماجدوى أن تسأل هذا التعس عن أى شىء مثير للفضول ، أى أعجوبة كان يمكنه أن يعرضها فى هذا الظلام البغيض خلف ستاره الممزق ؟ الحق أقول إنى لم أجرؤ على السؤال ، ولو أخبرتك بسبب خجلي فسوف تسخر منى ، إنى أعترف أنى خشيت أن أجرحه .

وأخيراً ، عقدت عزمى على أن أترك له بعض المال ، على أحد الألواح ، عند مرورى ، متعشفاً أن يدرك نيتى حين جاء حشد كبير من الناس مدفوعاً بما لا أدرى من الهرج ليسحبنى بعيداً عنه .

وعدن عودتى مأخوذاً بهذه الرؤية ، حاولت أن أفسر ألى المفاجئ ، وقلت لنفسى : لقد رأيت صورة الأديب المسن الذى عاش بعد جيله ، وكان يقدم له أجمل تسلية .

وصورة الشاعر العجوز ، بلا أصدقاء ولا أسرة ، ولأطفال وقد حط من شأنه البؤس والجحود العام ، وتركه فى الكابينة التى لم يعد العالم الذى ينسى يملك الرغبة فى دخولها ؟

الحلوى

Le Gateau

كنت مسافراً ، وكان المنظر الطبيعي الذى وجدت نفسى فى وسطه على درجة من الجلال والنبيل لاتقاوم ، لقد ترك عندى دون شك شيئاً من روحه فى هذه اللحظة ، كانت أفكارى ترفرف بخفة تتساوى مع خفة الهواء ، وبدت لى العواطف الفجة مثل البغض والحب العميق الآن بعيدة أيضاً كالغيوم التى تمر فى عمق الهاوية تحت قدمى ، وكانت روحى تبدو لى شاسعة أيضاً وصافية كقبة السماء التى كانت تغلفنى ، ولم يكن يصل إلى قلبى إلا ذكرى الأشياء الأرضية ضعيفة وواهنة كصوت الجرس الصغير المعلق فى رقاب الحيوانات التى لايمكن رؤيتها ، والتى كانت تبدو بعيدة ، بعيدة جداً على سفح جبل آخر ، وعلى البحيرة الصغيرة الساكنة السوداء لعمقها الهائل ، كان يمر ظل سحابة أحياناً ، كانعكاس ستار لعملاق هوائى يطير عبر السماء ، وإنى لأذكر أن هذا الإحساس الاحتفالى والنادر الذى بعثته فى نفسى حركة صامته تماماً ملأنى بالفرح المشوب بالخوف ، باختصار كنت أشعر بفضل الجمال المتحمس الذى يحيطنى بالسلام الكامل مع نفسى ومع الكون ، حتى أنى ظننت فى غبظتى الكاملة ، وفى نسيانى الكامل للشر الأرضى أننى استنتجت منه ألا أعد الصحف مخطئة جداً ، لأنها تدعى أن الإنسان يولد طيباً - حين تجدد المادة غير القابلة للشفاء من متطلباتها ، ورحت أفكر فى أن أتخلص من تعبى وأن أسرى عن شهيتى مما أصابها بسبب الصعود المتواصل فأخرجت من جيبى قطعة كبيرة من الخبز وقدحا من الجلد ، وقنينة من إكسير معين كان الصيادلة يبيعونه للسياح فى هذا الوقت لمزجه حين تحين الفرصة بماء الثلج .

كنت أقطع خبزي في هدوء ، حين جعلتني ضجة خفيفة جداً أفتح عيني ، كان يقف أمامي كائن صغير ، رث الثياب أسود ، أشعث الشعر ، عيناها غائرتان ، مقطبتان ، تلتهمان قطعة خبز كالمسولين ، وسمعته يزفر بصوت خفيض خشن كلمة : « جاتوه » ، لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك عند سماعي هذه التسمية التي أراد بها تشریف خبزي الأبيض تقريبا فقطعت له حلقة كبيرة ومنحتها له ، فتقدم ببطء ولم يرفع عينيه عن موضوع اشتهاؤه ، ثم اختطف القطعة بيده ، وتراجع في حيوية كما لو أنه يخشى أن تكون منحتي غير خالصة أو أنني أندم عليها مقدما ، ولكن - في اللحظة نفسها - قلبه على وجهه صغير « متوحش » آخر ، لا أعرف من أين خرج وكان يشبه الأول تماما حتى ليتمكن للمرء أن يعده أخاه التوأم ، وأخذا معا يدوران على الأرض ، ويتجاذبان الغنيمة الغالية ، ولاشك أن أيا منهما كان لا يريد التضحية بنصفها لأخيه ، فأمسك الأول غاضبا بشعر الثاني الذي عض أذنه بأسنانه منتزعا قطعة صغيرة ملوثة بالدم وهو يسبه بلهجة إقليمية ، حاول صاحب « الحلوى » الشرعى أن ينشب أظفاره الصغيرة في عيني مغتصبها الذي استجمع كل قواه بدوره ، ليخنق عدوه بيديه ، فيما حاول الأول أن يدس ثمن المعركة في جيبه ، ولكن المهزوم ، مدفوعا باليأس ، نهض وأوقع المنتصر على الأرض بضربة من رأسه في بطنه .

ما جدوى وصف صراع بشع استمر في الواقع وقتا أطول مما استطاعت قواهما الطفلية أن تتحمل ، وانتقلت الحلوى من يد إلى يد ، ومن جيب إلى جيب ، في كل لحظة ، ولكنها وأسفاه ، كانت تفقد حجمها أيضا ، وعندما شعرا أخيرا بالإعياء ، وهما يلهتان ، وينزفان الدم ، توقفا لعدم استطاعتهما الاستمرار ، ولم يكن هناك داع في الحقيقة لمعركة فقد اختفت قطعة الخبز ، وتناثرت إلى فتات يشبه حبات الرمل التي امتزجت بها .

وقد غطى هذا المشهد بالضباب المنظر الطبيعي ، والمتعة الهادئة
الذين غمرا روعي قبل رؤية هذين الشابين اللذين اختلفا تماما ، ومكثت
حزينا فترة طويلة جدا وأنا أكرر : هناك إذن وطن عظيم حيث يسمى
الخبز فيه بالحلوى ، والحلوى نادرة بما يكفي لنشوب حرب هي قتل للأخ
على نحو كامل .

ساعة الحائط

L'orloge

ينظر الصينيون إلى الساعة في عيون القطط .

ذات يوم كان أحد المبشرين يتنزه في ضاحية نانكين ، وأدرك أنه نسي ساعته ، فسأل صبياً صغيراً عن الوقت .

تردد ابن الإمبراطورية السماوية في البداية ، ثم غير رأيه ، وأجابه « سأقول لك » وبعد لحظات قليلة ، عاد ممسكاً قطعاً قوياً ضخماً بين ذراعيه ، ناظراً إليه ، كما يقال ، في بياض عينيه ، وأكد دون تردد : « لم يحن منتصف النهار بعد » .

وكان هذا صحيحاً .

أما بالنسبة لى ، فإذا انحنيت على « فيلين » قطتى الجميلة الماكرة ، التى سميت بهذا الاسم العذب ، والتى هى شرف لجنسها ، وهى فى الوقت نفسه نشوة لقلبى ، وعطر لروحي ، وسواء أكان النهار أم كان الليل ، فى الضوء الساطع أو الظلام الدامس ، ففى أعماق عينيها المعبودتين ، أنظر دائماً إلى الساعة ، بوضوح ، وهى نفسها دائماً ساعة واسعة مهيبة شاسعة كالفضاء دون تقسيم الدقائق والثوانى - ساعة لا تتحرك ، ليس عليها علامات ساعة الحائط ومع هذا فهى خفيفة كزفرة ، سريعة كطرفة عين .

فإذا شغلنى شخص مزعج بينما تستقر نظرتى على مينائها اللذيذ ، لو جاعنى جنى شرير وظالم ، شيطان الوقت غير المناسب ، وقال

لى : « إلام تنتظر بكل هذا الاهتمام ؟ ما الذى تبحث عنه فى عينى هذا الكائن ؟ أنتظر فيهما إلى الساعة ، أيها الفانى السفية الكسول ؟ » لأجبتة بون تردد : « نعم أنظر فيهما إلى الساعة . إنى أرى الأبدية ! »

أليست هذه ، ياسيدتى ، غزلية جديرة بالتقدير حقا ؟ أليست فخمة منك تماماً ؟ ففى الحق أنى شعرت بسعادة غامرة بتطريز هذا الإطراء المغرور حتى إنى لن أطلب منك شيئاً فى مقابله .

نصف العالم فى جديلة

Un Hemis Phere Dans Une Chevelure

دعيني أتنفس رائحة شعرك طويلا طويلا ، حيث أدس فيه وجهى
كله كما يفعل الظمان فى ماء نبع ، أحركه بيدي كمنديل معطر لأنثر
الذكريات فى الهواء .

ليتك تستطيعين أن تعرفى كل ما أرى ، كل ما أتنسمه كل ما أسمع
فى شعرك ! فروحى تسافر فى العطر كما تسافر أرواح رجال آخرين
فى الموسيقى .

إن شعرك يضم حلما حافلا بالأشعة والصورارى ، إنه يحتوى على
بحار واسعة ، تحملنى منها الرياح الموسمية صوب أجواء ساحرة ، حيث
الفضاء أكثر زرقة وأشد عمقا ، حيث الهواء معطر بالفاكهة ، والأوراق ،
والإهاب البشرى .

وفى محيط جديلتك ألمح مرفأ يمتلى بأغان حزينة ورجال أشداء من
كل الجنسيات ، وسفن من كل الأشكال تشق عمارتها الجميلة المركبة
سما هائلة حيث تسترخى الحرارة الأبدية .

وفى دغدغة جديلتك ، أجد فتور الساعات الطويلة وهى تمر على
أريكة فى قمره سفينة جميلة ، مهددة بتمايل غير محسوس فى ميناء ،
بين أوانى الزهر وأباريق الماء المرطبة .

وفى مفرق شعرك المتوهج أتنفس رائحة التبغ ، ممزوجة بالأفيون
والسكر ، وفى ليل جديلتك أرى لانهائية اللازورد الاستوائى تتلأأ على
شواطئ شعرك المزغبة ، فأسكر بعطور تتألف من القار والمسك وزيت
جوز الهند .

دعيني أقبل طويلا جدانك الثقيلة السوداء ، وحين أعض شعرك
الطرى المتمرّد أشعر كأتى أتغذى على الذكرىات !

الدعوة إلى الرحيل

L'invitation Du Voyage

إنه لبلد رائع ، أرض النعيم ، كما يقال ، ذلك الذى أحلم بزيارته مع صديقة قديمة ، بلد فريد ، غارق فى ضباب شمالنا ، كان يمكن تسميته بشرق الغرب ، صين أوروبا ، ويقدر ما أعطى الخيال المتقلب الأهواء مجالاً فيه ، بقدر ما زينه فى صبر وثبات بنباتاته الرقيقة البارعة .

أرض النعيم بحق ، حيث كل شىء جميل ، وغنى ، وهادئ ، وأمين ، حيث يسعد الترف أن يرى نفسه فى النظام ، حيث الحياة خصبة ومفعمة بالعطر ، وقد نقيت منه الفوضى والصخب وما لا ينتظر ، حيث تقترن السعادة بالصمت ، حيث المطبخ نفسه شاعرى ، غنى ومثير فى الوقت نفسه ، وكل شىء هناك يشبهك ياملاكى الغالى ، هل تعرفين هذا المرض المحموم الذى يستولى علينا بنوبات البؤس الباردة ، ذلك الحنين للوطن الذى نجهله قلق حب الاستطلاع ؟ إنه قطر يشبهك ، كل شىء فيه جميل وغنى وهادئ وأمين ، وقد بنى الخيال فيه صيناً غريبة وزينها ، وحيث يطيب تنسم عبق الحياة .

وحيث السعادة تتزوج الصمت ، إنه المكان الذى ينبغى الذهاب للحياة فيه ، وهو المكان الذى يستحب فيه الموت .

نعم ! إنه هناك حيث ينبغى الذهاب للتنفس ، والحلم ومد الساعات بلا نهائية الأحاسيس ، لقد كتب أحد الموسيقيين موسيقا « الدعوة إلى الفالس » فمن سيكتب موسيقا « الدعوة إلى الرحيل » التى يمكن تقديمها إلى المرأة المحبوبة ، إلى الأخت المنتخبة ؟

نعم ، فى هذا الجو تطيب الحياة ، هناك حيث الساعات الأشد بطنًا تنطوى على كثير من الأفكار ، حيث تدق ساعات الحائط أجراس السعادة أكثر عمقا وأكثر دلالة على الجلال .

إنهم يعيشون فى بساطة ، على اللافتات اللامعة ، أو على الجلود المذهبة ، وعلى ثروتهم الضئيلة ، وعلى لوحات جميلة هادئة وعميقة كأرواح الفنانين التى خلقتها ، والشموس الغاربة التى تلون فى ثراء قاعة الطعام ، أو قاعة الاستقبال تسلل من خلال الأنسجة الجميلة ، أو النوافذ العالية المشغولة حتى تفرق ضوءها الرصاصى على مقاصير كثيرة ، والأثاث الكبير ، طريف ، غير مألوف ، مدعم بالأقفال والأسرار كالأرواح المرهفة ، وهناك تعزف المرايا ، والمعادن والأنسجة والحلى ، والخزف سيمفونية صامتة وغامضة من أجل العيون . ومن كل شىء ، ومن كل ركن ، ومن شقوق الأدراج ، وثنايا النسيج ينسرب عطر فريد ، عودة من جديد إلى سومطرة التى تشبه روح هذه الشقة .

أرض النعيم حقا ، كما قلت لك ؟ حيث كل شىء غنى وتنظيف ولامع كضمير نقى ، كآنية المطبخ الرائعة ، كالحلى الفخيمة ، كالجواهر المصقولة ! وهناك تتدفق كنوز العالم كما يحدث فى بيت رجل مجتهد ، استحق خير العالم كله ، بلد فريد ، أسمى من البلاد الأخرى كما يسمو الفن على الطبيعة حيث إن الفن هو الطبيعة التى أعاد الحلم بناءها ، وأصلح فروضها ونمقها ، وصاغها من جديد .

فليبحث ، فليبحث أيضا ، كيميائيو زراعة البساتين القدماء هؤلاء أن يزيدوا دون توقف حدود سعادتهم ، وليقترحوا مكافأة ستين ومائة ألف فلورين لمن سيحل مشاكلهم الطموحة ، أما أنا فقد وجدت زهرتى :

زهرة التيوليب السوداء ، وزهرة الداليا الزرقاء .

زهرة لاتقارن ، زهرة التيوليب التى وجدتها ثانية ، أما زهرة الداليا الأمتولة ، فإنه هناك ، أليس كذلك ، كان ينبغي لها الذهاب إلى ذلك البلد الجميل ، الشديد الهدوء ، الكثير الأحلام كى تعيش وتزهر ، ألن تكونى مؤطرة فى قياسك ؟ ألن تستطيعى النظر فى مرآتك لتحدثى كالمصوفة فى مراسلتك الخاصة ؟

أحلام ! ودائماً أحلام ، وكلما كانت الروح شديدة الطموح والرقية استعصت الأحلام على الإمكان . إن كل إنسان يحمل فى داخله جرعة من الأفيون الطبيعى يتم إفرازها وتجديدها بلا انقطاع من الميلاد حتى الموت ، وكم نعد الساعات المليئة بالفرح الإيجابى ، والعمل الناجح المستقر ، هل نعيش أبداً ، هل ندخل أبداً هذه اللوحة التى رسمتها روحى ، هذه اللوحة التى تشبهك ؟

إن هذه الكنوز ، وهذا الأثاث ، وهذا الترف ، وهذا النظام ، وهذه العطور ، وهذه الزهور المعجزة هى أنت . وأنت أيضاً هذه الأنهار الكبيرة ، وهذه القنوات الهادئة ، وهذه السفائن المثقلة بالثروات ، تتصاعد منها الأغاني الرتيبة للبحارة ، إنها أفكارى التى تنام ، أو التى تدور فوق نهدك ، إنك تقودينها نحو البحر اللامتناهى وتعكس أعماق السماء فى صفاء روحك الجميلة ، وحينما يرهقها هياج الموج ، وامتلاؤها بمنتجات الشرق ، فإنها تعود إلى الميناء الذى شهد مولدها ، وكذلك تفعل أفكارى التى تعود إليك من اللانهائى !

لعبة الفقير

Le Joujou Du Pauvre

أريد أن أعطي فكرة عن تسلية بريئة ، فهناك قليل جدا من أنواع التسلية التي لا لوم عليها .

فعندما تخرج من بيتك في الصباح ، عاقد العزم على التجول في الطرقات الواسعة ، املاً جيبك بمخترعات صغيرة رخيصة ، مثل الدمية المسطحة التي تعمل بسلك واحد ، والحدادين الذين يطرقون السندان ، والفارس على حصانه الذي ينتهي ذيله بصفارة ، وأمام الملاهي الليلية ، تحت جذوع الأشجار ، قدمها هدايا لأولئك الأطفال المجهولين الفقراء الذين ستقابلهم هناك ، وسترى كيف تتسع عيونهم إلى أقصى حد في البداية ، ثم تقبض أيديهم على الهدية في لهفة ، ويهربون كما تفعل القطط التي تبتعد عنك لتأكل قطعة من طعام قدمتها لها ؛ فقد تعلمت ألا تثق بالإنسان .

وفي طريق ، خلف بوابة حديدية لحديقة واسعة ، يظهر في نهايتها بياض قصر جميل تضيؤه الشمس ، كان يقف طفل وسيم ناضر ، في ملابس ريفية تنم عن ذوق رفيع .

إن الترف والخلو من الهموم ، ومنظر الثراء المعتاد ، يجعل هؤلاء الأطفال شديدي الوسامة حتى ليظن المرء أنهم خلقوا من عجينة أخرى غير التي خلق منها أطفال البسطاء أو الفقراء .

وبجانبه على العشب ، كانت ترقد لعبة فاخرة نضرة كسيدها ، مصقولة ، مذهبة ، تلبس ثوبا أرجوانيا ، ومغطاة بالريش والخرز ، ولكن الطفل لم يكن يعير التفاتا إلى لعبته المفضلة وكان هذا ما ينظر إليه :

فى الجانب الآخر من البوابة الحديدية ، عبر الطريق ، وسط الأشواك ، وأعشاب القُرْأص الجارحة ، كان هناك طفل آخر قذر ، ضعيف البنية ، ملطخ بالسناج ، أحد أولئك الأطفال المنبوذين ، يمكن للعين المنصفة أن تكتشف وسامته ، كما تكتشف عين الخير لوحة مثالية تحت طلاء هيكله ، فتنظفه من صبغة البؤس البغيضة .

وعبر تلك القضبان الرمزية التى تفصل بين عالمين :

الطريق الواسع والقصر ، كان الطفل الفقير يعرض على الطفل الغنى لعبته الخاصة التى فحصها هذا بلهفة كشيء نادر ومجهول ، غير أن هذه اللعبة التى كان الصعلوك الصغير يضايقها بهزها وتحريكها داخل صندوق ذى شبكة من السلك كانت فأرا حيا ؛ فقد أخذ والداه ، لدواع اقتصادية ، ولاشك ، هذه اللعبة من الطبيعة نفسها .

وراح الطفلان يضحكان كل منهما للآخر على نحو أخوى ، بأسنان متساوية فى البياض !

هبات الجنيات

Les Dons Des Fees

كان هذا اجتماعا كبيرا للجنيات ، ليتصرفن فى توزيع الهبات على كل حديثى الولادة الذين وصلوا إلى الحياة منذ أربع وعشرين ساعة .

كانت كل أخوات القدر العتيقات المتقلبات الأهواء هؤلاء ، وكل أمهات الفرح والألم أولئك الغريبات الأطوار ، مختلفات بشدة ، فبعضهن كن متجهومات الوجه عابسات ، والأخريات كن مرحات ماكرات ، وبعضهن شابات ، قد كن على الدوام شابات ، والأخريات عجائز ، وقد كن عجائز على الدوام .

وكان كل الآباء الذين يؤمنون بالجنيات قادمين ، وكل منهم يحمل مولوده الجديد بين ذراعيه ، وكانت الهبات والكفاءات ، والحظوظ الطيبة ، والظروف التى لاتقهر متراكمة بجانب المحكمة ، كما تتراكم الجوائز على المنصة يوم التوزيع ، أما الشئ الخاص هنا فهو أن الهبات لم تكن جزاء على مجهود ، ولكن على العكس كانت كل منها نعمة أعطيت لمن لم يعيش الواقع بعد ، وتستطيع كل نعمة أن تحدد مصيره ، وتصبح مصدرا لسوء حظه أو لحسن طالع .

وكانت الجنيات المسكينات مشغولات تماما ، لأن حشد ملتمسى الهبات كان كبيرا ، والعالم الوسيط الموضوع بين الإنسان والله ، خاضع مثلنا للقانون المرعب للزمن ولذريته اللامتناهية من الأيام ، والساعات ، والدقائق ، والثوانى .

كن فى الواقع ذاهلات كالوزراء يوم انعقاد مجلسهم ، وكموظفى
بنك التسليف حين يسمح عيد قومى بالإفراج مجاناً ، بل إنى أعتقد أنهم
كن ينظرون إلى عقرب ساعة الحائط الآخر ، بقدر من عدم الصبر كقضاة
البشر ، الذين ، وقد عقدوا جلساتهم منذ الصباح ، لا يستطيعون أن
يمنعوا أنفسهم من الحلم بتناول الغداء مع أسرهم وهم يلبسون
شبشبهم العزيزة ، فإذا كان فى القضاء فوق الطبيعى قليل من
التسرع، والصدفة ، فلا يدهشنا أن يكون عندنا الشئ نفسه أحياناً فى
القضاء البشرى . ولو أننا مكانهم ، لكننا ، فى هذه الحالة نحن أيضاً
قضاة ظالمين .

وكذلك ارتكبت فى هذا اليوم بعض حماقات التى يمكن أن نعوها
غريبة ، إذا كانت الحكمة ، وليست النزوة قد صارت الصفة المميزة
الأبدية للجنيات .

وهكذا ، حكمت القدرة على جذب الحظ بطريقة مغناطيسية لصالح
الوارث الوحيد لأسرة شديدة الثراء ، لم يكن يتصف بأى معنى من
معانى الإحسان ، ولا حتى اشتهاى أى من خيرات الحياة الظاهرة ،
سيجد نفسه فيما بعد ، على نحو خارق ، مرتبكا فى ملايينه .

كما أعطى حب الجمال والطاقة الشعرية إلى ابن بئس كئيب ،
يحترف العمل فى محجر ، لم يكن يستطيع بأى طريقة أن يساعد هذه
القدرات ، ولا أن يشبع حاجات ذريته التى يرثى لها .

لقد نسيت أن أقول لكم إن التوزيع فى هذه الحالات الاحتفالية يتم
دون استئناف ، وأن كل منحة لا يمكن أن ترفض .

وكانت الجنيات ينهضن وقد ظننت أن عملهن الإلزامى قد انتهى ،
إذا لم تبق أى هدية أو هبة ليلقى بها إلى قليلى الأهمية من البشر حين
وقف رجل طيب ، تاجر شاب فقير ، على ما أعتقد ، وقبض على ثوب
الجنية ذى الأبخرة من كل الألوان ، التى كانت على مرأى منه ، وصرخ :
« إيه يا سيدتى لقد نسيتنا ، يوجد صغيرى أيضا ، لا أريد أن يكون
حضورى بلا جدوى » .

كان يمكن للجنية أن تشعر بالخرج إذ لم يتبق شىء ، ولكنها
تذكرت فى الوقت المناسب قانوناً معروفاً تماماً بالرغم من أنه نادراً ما
كان يطبق فى العالم فوق الطبيعى ، المسكون بتلك الآلهة غير الملموسة ،
أصدقاء البشر الذين غالباً ما يضطرون إلى التكيف مع أهوائهم مثل
الجنيات ، والعمارة الصغيرة ، والسمندل (١) ، والسلف ، والسلفيدات (٢)
، والنكسات (٣) ، والأوندين و الأونديينات (٤) .

أقصد القانون الذى أعطى امتيازاً للجنيات فى حالة تشبه هذه ،
أى حالة استنفاد الأنصبة ، هو القدرة التى تستطيع بها أن تمنح نصيباً
إضافياً واستثنائياً بشرط أن يكون لها من الخيال ما يكفى لخلقه فى
الحال .

(١) السمندل : نويبة زحافة تفرز مادة تطفى بها النار .

(٢) السلف والسلفيدات : هم ذكور الجن وإناثه فى الأساطير السلتيية .

(٣) النكسات : هى حوريات الماء فى الميثولوجيا الألمانية .

(٤) الأوندين والأونديينات : عرائس البحر فى الأساطير الألمانية .

وبناء عليه ، أجابت الجنية الطيبة فى اعتداد بالنفس جدير برتبتها :
« إنى أعطى لابنك .. إنى له أعطى .. هبة الإعجاب » .

- « ولكن أى إعجاب ؟ .. إعجاب .. ؟ ولماذا الإعجاب ؟ »

هكذا سألها التاجر الصغير بعناد ، وكان لاشك من العقلاء العاديين جدا العاجزين عن الصعود إلى منطق اللامعقول : فأجابت الجنية مفضبة : « لأن .. لأن .. » وهى تعطيه ظهرها وتتضم إلى موكب رفيقاتها قائلة لهن : « ما رأيكن فى هذا الفرنسى الشاب المغرور الذى يريد أن يفهم كل شىء ، والذى يحصل لابنه على أعظم نصيب ، ويجرؤ على التساؤل ومناقشة ما لا يناقش ؟ »

الغوايات أو إيروس

بلوتوس والمجد

Les Tentationo Ou EROS

Plutus Et La Gloire

صعد شيطانان فاتنان وشيطانة لاتقل عنهما غرابة ، فى الليلة الماضية ، على السلم الغامض الذى يهجم منه الجحيم على وهن الرجل النائم ويتصل به سرا ، وقد جاوا يتفاخرون فى صلف أمامى ، واقفين كأنهم على منبر ، تنبعث فخامة كبريئية من هذه الشخصيات الثلاث التى تتناقص هكذا مع قاع الليل المظلم ، وكان مظهرهم يوحى بالزهو البالغ والسيطرة العنيفة حتى ظننت ثلاثتهم للوهلة الأولى آلهة حقيقية .

كان وجه الشيطان الأول ينبىء عن جنس ملتبس ، كما كانت تبدو على خطوط جسده رخاوة أتباع باخوس القدمات ، وكانت عيناه الجميلتان الفاترتان اللتان كان لهما لون معتم مريب تشبهان بنفسجتين مازالتا مليئتين بدموع العاصفة الغزيرة ، وكانت شفثاه المنفرجتان مجمرتين حارتي تنبعث منهما الرائحة الزكية لمصنع عطور ، وفى كل مرة كان يتنهد ، كانت تضىء حشرات مُضمخة بالمسك ، مرفرفة من توهج أنفاسه .

وكان يتلف حول قميصه الأرجوانى كما يلتفت الحزام ثعبان لامع ، مرفوع الرأس ، وقد أدار نحوه فى خمول عينين من الجمر ، وكان معلقا بهذا الحزام الحى بالتناوب مع قوارير مليئة بمشروبات مشئومة ،

سكاكين لامعة وآلات للجراحة ، وفى يده اليمنى كان يمسك بقارورة أخرى كان محتواها أحمر مضيئاً ، وكانت تحمل بطاقة مكتوباً عليها هذه الكلمات الغريبة : « اشربوا ، هذا دمي .. منعش تماماً » وفى اليسرى كان يحمل كماناً كان يستخدمه دون شك فى غناء أفراحه وآلامه ، وفى نشر عدوى حماقته فى ليالى السبت (١) .

وكان يشد إلى كاحليه الرقيقين بعض الحلقات من سلسلة من الذهب المطروق ، وعندما اضطره الضيق الذى نتج عن ذلك إلى خفض عينيه إلى الأرض ، أخذ يتأمل فى غرور أظافر قدميه اللامعة المصقولة كأحجار متقنة الصنع .

ونظر إلى بعينه الثقلتين بحزن لا عزاء له ، واللتين كان يبدو عليهما سكر غامض ، وقال لى بصوت شادٍ : « إذا شئت أنت ، إذا شئت ، جعلتك سيد الأرواح ، وستكون سيد المادة الحية ، وأكثر قدرة على تشكيل الصلصال من النحات ، وستعرف المسرة التى لا تتوقف عن التجدد بخروجك من ذاتك ، ونسيانها فى الآخر ، بجذب الأرواح الأخرى حتى تمزجها بروحك » .

وأجبتة « شكراً جزيلاً ، لا أدري ماذا سأفعل بهذه الكائنات الرخيصة التى لا تزيد فى قيمتها ولاشك عن قيمة ذاتى المسكينة ، مع أنى أخجل قليلاً من تذكيرى فإنى لا أريد أن أنسى ، وفى الوقت نفسه ، أنا لم أتعرف عليك أيها الوحش العجوز ، وصناعة سكاكينك الغامضة ، وقواريرك المشبوهة ، والسلاسل التى تصفد بها قدميك ، هى رموز تفصح بوضوح كافٍ عن صعوبة صداقتك ، فاحتفظ بهداياك » .

(١) طبقاً لخرافة شعبية فى القرون الوسطى ، كان السحرة والأرواح الشريرة يقيمون احتفالاتهم ليلة السبت .

لم يكن الشيطان الثانى يملك ذلك المظهر المأسوى والباسم فى الوقت نفسه ، ولاتلك الطرق الناعمة الملتوية ، ولا ذلك الجمال الرقيق والمعطر ، لقد كان هذا رجلا ضخما ذا وجه كبير بلاعيون ، يتدلى بطنه الثقيل على فخديه ، وكل جلده مذهب ومزين بصور كالتى فى الوشم نوات حشد من الوجوه الصغيرة المتحركة التى تمثل الأشكال المتعددة للبوأس الكونى ، كان يوجد بها بعض الرجال المهازىل الذين كانوا يتعلقون طواعية بمسماز ، وكان بها عفاريت صغيرة مشوهة نحيلة تطلب عيونها الضارعة الصدقة على نحو أفضل مما تفعله أيديها المرتعدة ، وكذلك أمهات عجائز يحملن أجنة مجهضة يتشبهون بأثدائهن المرهقة ، وكانت توجد رسوم أخرى كثيرة .

ضرب الشيطان الصخم على بطنه الهائل ، فخرجت منه حينذاك صلصلة معدنية مدوية ، انتهت بأنين غامض مؤلف من أصوات بشرية متعددة ، وضحك كاشفا فى وقاحة عن أسنانه الفاسدة ، ضحكة هائلة بلهاء كبعض الرجال فى كل بلاد العالم عند تناول عشاء فاخر .

وقد قال لى : « إنى أستطيع أن أمنحك ما يحصل على كل شىء ، وما يساوى كل شىء وما يعوض كل شىء » ، وضرب على بطنه الوحشية ، فرن الصدى صانعا تعليقا على كلامه الغليظ .

غيرت مجرى الحديث باشمئزاز وأجيبته : « ليست بى حاجة إلى بوأس أحد لأصنع سعادتى ، لا أريد ثروة محزنة كورق الزينة ، ومثقلة بكل التعاسات الممثلة على جلدك » .

أما عن الشيطانة ، فإنى أكون كاذبا لو لم أعترف بأنى وجدت لها عند النظرة الأولى سحرا غريبا ، ولتحديد هذا السحر ، لن أعرف كيف

أقارنه بشيء أفضل مما تملكه النساء رائعات الجمال اللاتي تقدم بهن العمر ، واللاتي لا يهرمن أبدا رغم ذلك ، فالجمال فيهن يحتفظ بسحر الأطلال ، وكانت ذات كبرياء وفي الوقت نفسه تتخلع في مشيتها ، وكانت عيناها رغم ما فيهما من إرهاق تحتويان على قوة جذابة أما مارقني أكثر ، فهو غموض صوتها الذي وجدت فيه ذكرى الرنين فائق اللذة ، وقليلاً من بحة الصوت في حناجر لا يتوقف اغتسالها بالنبيذ .

« أتريد أن تتعرف على قدرتي ؟ »

قالت الإلهة المزيفة بصوتها الساحر المليء بالمفارقة :

« اسمع » .

ونفخت حينذاك في نفير ضخم مزين كمزمار بكل عناوين صحف العالم ، وعبر هذا النفير صرخت باسمي الذي دار هكذا عبر الفضاء بضجة مائة ألف من الرعود ، وصار يتردد بالصدى في أبعد كوكب .

« يا للشيطان » .

قلت نصف مأخوذ : « هذا شيء قيم » ، ولكنني حين تفحصت بعناية هذه المغوية السليطة اللسان ، بدا لي على نحو مبهم أنني تعرفت عليها ، لأنني رأيتها تشرب نخبا مع بعض الأوغاد ممن أعرفهم ، وجلب الصوت النحاسي الخشن إلى أذني ما لا أدري من ذكرى نفير داعر .

وكذلك أجبتها بكل ازدراء : « إليك عنى ! فإني لست مستعداً

للزواج من عشيقة البعض ممن لا أريد تسميتهم » .

وبالطبع ، كان يحق لى أن أكون مزهوا بهذه التضحية الفائقة الشجاعة ، ولكنى لسوء الحظ ، صحوت من نومى ، وقد تخطت عنى كل قوتى ، قلت لى نفسى : « فى الحقيقة لابد أن النوم قد استغرقنى بعمق لتحضرنى مثل هذه الوسواس ؟ أه .. لوكان فى الإمكان أن تعود ثانية وأنا مستيقظ ، فلن أبدي مثل هذا التمتع .

وأخذت أستدعيهم بأعلى صوت ، متوسلا إليهم أن يغفروا لى ، عارضا عليهم أن يلحقوا بى العار مرات كثيرة ، قدر ما ينبغى لأستحق أفضالهم ، ولكن لاشك أنى أسأت إليهم بشدة ، لأنهم لم يعودوا أبداً .

الغسق

Le Crepuscule Du Soir

ينحدر النهار ، ويتنزل سكون عميق على الأرواح المسكينة التي أرهقتها العناء اليومي وتصطبغ أفكار الآن بألوان الغسق الرقيقة الغامضة .

ومع هذا يصل إلى شرفتي ، من أعلى الجبل ، عبر غمام المساء الشفافة عواء عارم ، يتألف من حشد الصرخات غير المتألفة التي يحولها الفضاء إلى أصوات كثيبة متوافقة توافق الجزر والمد الصاعد ، أو توافق عاصفة تستيقظ .

أى تعساء لم يشملهم هدوء المساء ، والذين يتخذون ، كالبوم ، من مجيء الليل علامة على السبت ، يصلنا هذا العويل المشئوم من نذل أسود يجثم على الجبل .

وفي المساء ، حين أدخن وأتأمل سكون الوادي الهائل الذي يفص بمنازل تقول كل نافذة فيها : « هاهنا السلام الآن ، هاهنا فرح الأسرة » أستطيع حين تهب الرياح من أعلى أن أهدهد فكري مندهشا من هذه المحاكاة لتوافقات الجحيم .

إن الغسق يثير الحمقى ، وإنى لأذكر أنه كان لي صديقان يصيبهما الغسق بالسقم ، فكان أحدهما يتنكر حينذاك لكل مبادئ الصداقة والسلوك المهذب ويسىء من يصادقه . لقد رأيتَه يلقي بدجاجة ممتازة على رأس رئيس خدم فندق ، لظنه أنه رأى فيها أى هيروغليفية مهيبة " فالسواء نذير الشهوات العميقة ، كاد أن يفسد عليه الأشياء البالغة العذوية " .

أما الآخر ، وكان طموحه مجروحا ، فكلما انحدر النهار ، ازداد حدة ، وكآبة ، وعنادا ؛ فهو متسامح واجتماعي أثناء النهار فإذا حل المساء ،

كان يستحيل عديم الشفقة ، يمارس في غيظ جنونه الفسقى ، ليس على الآخرين وحدهم ، وإنما على نفسه أيضا .

وقد مات الأول مجنونا ، غير قادر أن يتعرف على زوجته وابنه ، أما الثانى ، فيحمل قلق انحراف المزاج الأبدى ، وحتى لو كوفى بكل أنواع التشريف التى يمكن للجمهوريات والأمراء منحها له ، فإنى لأظن أن الفسق سيظل يشعل فيه الرغبة الحارقة فى التميزات الخيالية ، فالليل الذى كان يسكب ظلماته فى روحيهما كان يسكب الضوء فى روحى ، ومع أنه ليس من النادر أن نرى السبب نفسه يولد تأثيرين متناقضين ، فإن الليل كان دائما يثير فضولى وانتباهى .

أيها الليل ! أيتها الظلمات المنعشة ، إنك بالنسبة لى علامة على عيد داخلى . إنك الخلاص من القلق ! فى عزلة السهولة ، فى المتاهات الحجرية لأى عاصمة ، وتلاؤ النجوم ، وانفجار الفوانيس ، أنت السهام النارية لربة الحرية !

أيها الفسق كم أنت جميل ورقيق !

الومضات الوردية التى تنسحب على الأفق كاحتضار النهار تحت ضغط ليله المنتصر ، أضواء الشمعدانات التى تشكل بقعا حمراء معتمة على الأمجاد الأخيرة للغروب ، والملاءات الثقيلة التى تجذبها أيد خفية من أعماق الشرق مقلدة العواطف المعقدة التى تتصارع فى قلب الإنسان فى ساعات حياته الجليلة .

إنك تشبه كذلك ثوبا من هذه الثياب الغربية للراقصات حيث يسمح النسيج الشفاف والمعتم باستشفاف المفاتن الكامنة عبر ثوب بهى كما يتجلى الماضى المزدهر من تحت السواد الراهن ، والنجوم الرفاقة من الذهب والفضة التى تمثل نيران الخيال التى تناثرت منها لاشتعل تماما إلا خلال حداد الليل العميق !

العزلة

Le Solitude

يقول لى صحفى محب للبشر ، إن العزلة سيئة للإنسان ، وإثباتا لحجته يستشهد ككل المتشككين بأقوال آباء الكنيسة .

إنى أعرف أن الشيطان يتردد عن طيب خاطر على الأماكن القاحلة ، وأن روح القتل والشهوة تتوهج على نحو معجز فى الأماكن المنعزلة ، ولكن قد لا تشكل هذه العزلة خطورة إلا على النفوس العاطلة والشاردة التى تسكنها بعواطفها وأوهامها .

ومن المؤكد أن الثرثار الذى تكمن سعادته القصوى فى الحديث بصوت عال من فوق مقعد أو منصة ، معرض بشدة لأن يجن من الغضب فى جزيرة روبنسون ، ولست أطلب من محدثى الصحفى الفضائل الشجاعة التى كان يتحلى بها كروزو ، ولكنى أطالبه بالألا يصدر قرارا بالاتهام ضد عشاق العزلة والغموض .

وفى أجناسنا التى تحب الثرثرة ثمة أفراد كانوا يقبلون أقصى العذاب بقدر قليل من النفور إذا سمح لهم بإلقاء خطبة عصماء من أعلى المنصة دون خوف من مقاطعة طبول السانتير لحديثهم فجأة .

إنى لا أشفق عليهم ، لأنى أدرك أن خطبهم المسهبة تمدهم ، بملذات تتساوى مع تلك التى يستمدنها الآخرون من الصمت والتأمل ، ولكنى أحتقرهم .

إنى أرغب على نحو خاص فى أن يتركنى الصحفى الملعون أسلى نفسى بطريقتى فيقول لى بنبرة من الأنف تماماً كنبرة رجال الدين : « ألم تشعر إذن

أبدا بالحاجة إلى اقتسام المسرات ؟ « أتري هذا الحاسد الثاقب البصر ؟ ..
إنه يعرف أنتى أزدري أفراحهم ، ويجيء ليُقحم نفسه فى أفراحي ، معكر
صفو الأعياد القبيح .

« إنه لسوء حظ عظيم ألا أستطيع البقاء وحدى . »

هذا ما قاله لابرويير (١) فى مكان ما ، كأنه يريد أن يخزى كل هؤلاء
الذين يلهثون وراء نسيان أنفسهم فى الزحام خائفين ولاريب من عدم
استطاعتهم احتمال أنفسهم .

ويقول حكيم آخر هو باسكال على ما أظن : « إن جل مصائبنا جاءتنا
تقريباً من عدم معرفتنا البقاء فى غرفتنا . »

ذاكراً هكذا داخل صومعة التأمل كل أولئك المفزوعين الذين يبحثون عن
السعادة فى الحركة وفى العُهر الذى أستطيع أن أسميه أخويا ، إذا أردت
الحديث بلغة عصرنا الجميلة !

(١) جان دى لابرويير La Bruyere : كان نبيلاً من نبلاء نوق بوريون ، وكاتباً أخلاقياً . أصدر
كتاب الأخلاق ١٦٨٨ ، وهاجم ما فى المجتمع من صور الفساد وأرجعها إلى انحراف القلب البشرى
لا إلى سوء النظام السياسى ، ودافع مع بوالو عن القدماء .

المشروعات

Les Projets

كان يقول لنفسه وهو يتنزه فى بستان كبير منعزل : « كم ستكون جميلة فى ملابس البلاط الملكى المعقدة الفخمة ، وهى تنزل ، عبر جو المساء الرائع ، درجات الرخام فى قصر يواجه مساحات من العشب وبرك الماء ، فهى تملك سمت الأميرات على نحو طبيعى » .

عند مروره فيما بعد فى شارع ، توقف أمام محل لعرض اللوحات ، وحين وجد ، على ورق مقوى ، صورة مطبوعة تمثل منظرًا طبيعيًا استوائيًا ، قال لنفسه : « لا ، ليس فى قصر أود امتلاك حياتها العزيزة ، فلن نكون حينذاك فى بيتنا ، ومن جهة أخرى ، فإن هذه الجدران الموشاة بالذهب لن تترك مكانا لتعليق صورتها ، وفى هذه المتاحف الاحتفالية لا يوجد ركن للحميمية ، وفى الحق أنه هناك تنبغى الإقامة لأزرع حلم حياتى » .

وبينما أخذ يتفحص تفاصيل اللوحة بعينه استمر فى التفكير : « على شاطئ البحر ، كوخ جميل من الخشب تغلفه كل تلك الأشجار الغريبة واللامعة التى نسيت أسماءها ، وفى الجو رائحة مسكرة لا يمكن تعريفها ، وفى الكوخ عطر قوى من الورد والمسك ... ، وعلى مبعده خلف دارنا الصغيرة أطراف الصواري تهتز بفعل الأمواج .. حولنا فيما وراء الغرفة المضاءة بضوء وردى تنخلة الستائر ، والمزينة بجداول نضيرة ، وزهور ذات رائحة تدير الرأس ، بمقاعد نادرة من فن الروكوكو البرتغالى ، من خشب ثقيل ومعتم (حيث يمكنها أن تستريح غاية فى الهدوء ، معرضة تمامًا للهواء ، تتنفس رائحة التبغ المزوجة على نحو خفيف بالأفيون) ، فيما وراء عارضة السفينة كانت ضجة العصافير التى أسكرتها الأضواء وثرثرة الزنجيات الصغيرات .. والليل

يصحب أحلامي ، وغناء الأشجار الشاكي بنغمات موسيقية حزينة ، نعم إن هناك في الواقع ، تلك الزينة التي أبحث عنها . فما حاجتي إلى قصر ؟ »

وفي مكان أبعد ، بينما كان يتابع سيره في شارع كبير ، لمح فندقا بالغ النظافة ، حيث كان يطل رأسان ضحوكان ، من نافذة مبتهجة بستائر من القطن المنقوش ، ومزخرفة بألوان مختلفة ، فقال لنفسه على الفور : « لا بد أن فكرى كان متشرداً كبيراً حتى يذهب بعيداً جداً للبحث عما هو قريب منى تماما ؛ فالمسرة والسعادة يكمنان في أول فندق أقابله . في فندق المصادفة ، المليء بالشهوات ، نار عالية ، خزف باهر ، وعشاء طيب ، ونبذ قوي ، وسرير بالغ الضخامة بملاءاته الخشنة شيئاً ما ، ولكنها نظيفة ، أهنك ما هو أفضل ؟ »

وعند عودته وحيدا إلى بيته في هذه الساعة حيث لم تعد النصائح الحكيمة مسموعة بسبب طنين الحياة الخارجية ، قال لنفسه : « لقد امتلكت اليوم . في الحلم ، ثلاثة مساكن ، وجدت فيها متعة متساوية . فلماذا أكره جسدى على تغيير المكان إذا كانت روى تسافر برشاقة فائقة ؟ وأى خير فى تنفيذ المشروعات إذا كان المشروع فى حد ذاته متعة كافية ؟ »

دوروثى الجميلة

La Belle Dorothee

الشمس ترهق المدينة بضوئها المستقيم والمرعب ، والرمل لامع ، والبحر متلاشى ، وقد سقط العالم مخدرا فى خسه ونام نومة القيلولة التى هو نوع من الموت اللذيذ حيث يتذوق النائم وهو نصف يقظان شهوات فنائه .

ومع هذا فإن دوروثى ، قوية ومزهوة كالشمس ، تتقدم فى الشارع المهجور ، وحيدة مفعمة بالحياة ، فى هذه الساعة تحت اللازورد الهائل ، مكونة فى الضوء بقعة مضيئة سوداء .

إنها تتقدم وهى تؤرجح فى رخاوة جذعها المشقوق على أردافها الكبيرة ، وثوبها الحريري اللاصق ذو اللون الوردى الفاتح يبرز بشدة سواد بشرتها ، وينصب كالقالب على قوامها الفارع وظهرها الغائر وصدرها المدبب .

ومظلتها الحمراء التى تنخل الضوء ، تضى على وجهها المعتم حمرة دموية من انعكاساتها .

وثقل شعرها الهائل المائل للزرقة يسحب رأسها الرقيق إلى الخلف معطياً إياها مظهراً منتصباً وكسولا ، والجواهر الثقيلة المتدللية من قرطها تغرد سرا فى أذنيها الجميلتين .

ومن وقت لآخر ، ترفع نسمة البحر طرف تنورتها المتطايرة كاشفة عن ساقها اللامعة البهية ، وقدمها التى تشبه أقدام آلهة الرخام التى أغلقت أوروبا عليها متاحفها ، تطبع شكلها بأمانة على الرمل الناعم ، ودوروثى تحب التأنق على نحو معجز حتى أن متعة كونها مثيرة للإعجاب تطغى عندها على كبرياء التحرر ، ومع كونها حرة فهى تسير بلا حذاء .

تتقدم هكذا فى تناغم ، سعيدة بالحياة ، تبسّم ابتسامة بيضاء ، كما لو أنها لمحت بعيدا فى الفضاء مرآة تعكس مشيتها وجمالها .

وفى الساعة التى تتن فى الكلاب أنفوسها من الألم تحت وطأة الشمس الحارقة ، أى دافع قوى إذن يجعل دوروثى الكسول تسير هكذا جميلة وباردة كالبرونز ؟

لماذا تركت كوخها الصغير المرتب بأناقة شديدة ، الذى كونت فيه الزهور وجدائل الأشجار ، بتكلفة بسيطة جدا مخدعا كاملا ، حيث تستمتع بتمشيط شعرها ، وبالتدخين وبكشف جسدها للهواء ، أو بالنظر إلى نفسها فى المرآة ذات مراوح الريش الكبيرة ، فيما يقوم البحر الذى يضرب الشاطئ على بعد مائة خطوة من هناك ، بعقد صداقة قوية رتيبة مع أحلامها الغامضة ، وفيما القدر الحديدى حيث تنضج طبخة اليخنى من سرطانات البحر بالأرز والزعفران ، يرسل إليها من عمق الفناء روائحه المثيرة ؟

ربما كانت على موعد مع أحد الضباط الشباب الذى ، على شواطئ بعيدة ، سمع رفاقه يتحدثون عن دوروثى الشهيرة . وحتما سترجوه ، هى المخلوق البسيط ، أن يصف لها حفل الأوبرا الراقص ، وستسأله عما إذا كان فى مقدور المرء أن يذهب إليها عارى القدمين ، كما يحدث فى رقصات يوم الأحد ، حيث تصبح عجائز « كافرين » أنفسهن سكارى متفجرات بالفرح ، وكذلك ستسأله أيضا عما إذا كانت سيدات باريس الجميلات كلهن أكثر منها جمالا .

إن دوروثى يعجب بها الجميع ويدللونها . وكان يمكن أن تكون سعيدة ، على نحو كامل ، لو لم تكن مضطرة إلى وضع القرش فوق القرش لتعيد شراء أختها الصغيرة التى لا يزيد عمرها عن إحدى عشرة سنة ، والتى صارت بالفعل ناضجة وفائقة الحسن .

وستنجم دوروثى الطيبة ، دون ريب ، فإن سيد الطفلة بخيل جدا ، مفرط البخل ، حتى إنه لن يقدر جمالا آخر غير جمال الدراهم !

عيون الفقراء

Les Yeux Des Pauvres

أه ! إنك تريد أن تعرفى لماذا أبغضك اليوم ، سيكون هذا دون شك ، أقل سهولة بالنسبة لك فى فهمه عنه وأنا أشرحه لك ، لأنك - فيما أظن - خير مثال على عدم التأثر الأنتوى يمكن مقابله .

لقد قضينا معاً نهراً طويلاً بدا لى قصيراً ، وتواعدنا أن تكون كل أفكارنا مشتركة بين الواحد والآخر ، وأن روحينا منذ ذلك الحين فصاعدا لن تكونا أكثر من روح واحدة ، وهذا حلم ليس بجديد ، على أية حال ، إن لم يكن هذا ما حلم به البشر جميعاً ، فما كان لأحد أن يحققه .

وفى المساء كنت متعبة قليلاً ، فأردت أن تجلسى أمام مقهى جديد يشكل ناصية شارع واسع جديد ... وكان مازال مليئاً ببقايا الطوب ومستعرضاً بالفعل بكل فخر فخامته التى لم تكتمل بعد ، كان المقهى يتلألاً ، وكان الغاز نفسه ينشر هناك توهج البداية ، ويضىء بكل قوته الجدران الساطعة بالبياض ، وصفحة المرايا التى تخطف الأبصار ، وذهب القضبان والطنف . كان صفاء السادة ذوو الخدود الممتلئة تسحبهم الكلاب وهم قابضون على أزمتهما ، وكانت السيدات يضحكن لصقر يجثم على قبضة يدهم ، وحمولات البحر والإلهات يحملن على رؤوسهن الفاكهة والقطائر والصيد ، وكانت الهيبات (١) والجانيמיד (٢) يقدمون بالأزرع الممدودة أنية صغيرة من البافرواز (٣) أو من مسلة ثنائية اللون من الثلجات المختلفة الألوان ؛ فالتاريخ كله وعلم الأساطير كله كانا موضوعين فى خدمة النهم .

(١) الهيبات Hebes : إلهات الشباب فى المثلوجيا الإغريقية .

(٢) الجانيמיד Ganymedes : سقاة الآلهة الذين اتخذهم زيوس .

(٣) البافرواز Bavaroise : نوع من الطعام يتكون من القشدة الإنجليزية والجيلاتين وله نكهة طيبة ، والكلمة تعنى طعام الآلهة .

وأمامنا مباشرة على الطريق المعبّد ، وقف رجل طيب ، فى الأربعين من عمره ، بوجهه المتعب ، ولحيته التى وخطها الشيب ، ممسكا طفلا صغيراً بيد ، ويحمل على الذراع الأخرى كيانا صغيرا أضعف من أن يسير ، كان الرجل يقوم بوظيفة الخادمة ، يسحب أبناءه ليتنسموا هواء المساء ، كانوا جميعا فى أسمال ، وكانت هذه الأوجه الثلاث جادة على نحو غير عادى ، وكانت هذه العيون الستة تتأمل المقهى الجديد فى ثبات بإعجاب متساو يتدرج حسب السن .

كانت عيون الرجل تقول : « كم هو جميل ! يبدو أن ذهب العالم كله قد جاء لتحمله هذه الجدران ؟ ! » وكانت عيون الصبى الصغير تقول : « كم هو جميل ! كم هو جميل ! ولكن هذا منزل لا يستطيع دخوله إلا بشر غيرنا » ، أما عيون الأصغر فقد كان انبهارها أكبر من أن يعبر إلا عن فرح ساذج وعميق .

يقول كتاب الأغاني إن المتعة تجعل الروح طيبة ، وترهف القلب ، وكانت الأغنية على حق ذلك المساء بالنسبة لى . فلم أرث لحال عائلة العيون هذه فحسب ، ولكنى شعرت بشيء من الخزى من أقداحنا وقواريرنا ، فهى أكبر كثيرا من عطشنا ، وأدرت نظراتى إلى نظراتك ، يا حبى الغالى ، لأرى فيهما أفكارى ؛ فغرقت فى عينيك الفائقتى الجمال والساحرتين على نحو غريب ، عينيك الخضراوين تسكنهما النزوة ويلهما القمر ، عندما قلت لى : « إنى لا أحتمل هؤلاء الناس بعيونهم المفتوحة كبوابة العربات ، ألا تستطيع أن ترجو صاحب المقهى أن يبعدهم من هنا ؟ »

إلى هذا الحد ، يصعب أن نتفاهم ، ياملاكى الغالى ، إلى هذا الحد ، لا يمكن تواصل الأفكار حتى بين المتحابين من الناس ؟

موت بطولى

Une Mort Heroique

كان فانسيول مهرجا جديرا بالإعجاب ، وكان تقريبا واحدا من أصدقاء الأمير ، ولكن بالنسبة للأشخاص المنذورين بطبعهم للفكاهة ، تتخذ الأشياء الجادة جاذبية قاتلة ، ومع أنه قد يبدو غريبا أن تستحوذ فكرة الوطن والحرية استحوذا طاغيا على عقل ممثل هذلى ، فإن فانسيول اشترك ذات يوم فى مؤامرة قام بها بعض النبلاء الغاضبين .

فى كل مكان يوجد فاعلو الخير الذين يبلغون السلطة عن هؤلاء الأفراد ذوى الفكاهة السوداء الذين يريدون عزل الأمراء ، وإجراء عملية تغيير المجتمع دون استشارته ، وقد أعتقل السادة الذين نحن بصددهم ، مثل فانسيول وحكم عليه بالموت المؤكد .

كنت اعتقد عن طيب خاطر أن الأمير قد غضب تقريبا لوجود مضحكه المفضل بين المتمردين ، فالأمير لم يكن أفضل ولا أسوأ من الآخرين ، بل إن حساسيته المفرطة كانت تجعله فى كثير من الحالات أكثر قسوة وأشد طغيانا من نظرائه جميعا ، ولأنه عاشق موله للفنون الجميلة ، وخبير ممتاز من جهة أخرى ، فقد كان فى الواقع لايشبع من الشهوات ، ولعدم اكترائه نسبيا بالبشر وبالأخلاق ، لأنه هو نفسه كان فنانا حقيقياً ، فإنه لم يعرف من الأعداء الخطرين إلا الضجر ، وكانت الجهود الغريبة التى يبذلها ليهرب أو لينتصر على هذا الطاغية المسيطر على العالم ، ستجلب عليه فى عمل مؤرخ قاس نعت « الوحش » إذا كان مسموحا فى مجالاتهم ، بأن يكتبوا أعمالا لا تهدف فقط إلى المتعة

والدهشة ، وهذا أشد أشكال المتعة رقة .. وكان من سوء حظ الأمير أنه لم يكن أبدا مسرحا واسعا يكفي لعبقريته ، وهناك كثير من الشباب الذين يشبهون نيرون يختنقون في أماكن بالغة الضيق سوف تجهل القرون القادمة دائماً أسماءهم ونواياهم الطيبة ، لقد منحت العناية الإلهية غير المتبصرة لهؤلاء قدرات أعظم كثيرا من استطاعتهم .

وعلى حين غرة ، انتشرت شائعة بأن الحاكم يريد أن يمنح عفواً لكل المتهمين ، وكان أصل هذه الضجة هو الإعلان عن حفل كبير كان من المفترض أن يلعب فانسيول خلاله واحداً من أفضل أدواره الرئيسية ، بل قيل ان النبلاء المدانين سيساعدونه في الوقت نفسه ، وهي علامة واضحة ، كما أردفت العقول السطحية على الميول الكريمة عند الأمير الغاضب .

كان كل شيء ممكناً ، بالنسبة لرجل على هذا القدر الطبيعي والإرادى من غرابة الأطوار ، حتى الفضيلة وحتى الرأفة ، ولاسيما إذا كان يتعشم أن يجد في هذا متعاً غير متوقعة . أما بالنسبة للذين استطاعوا مثلى ، التغلغل بعيداً في أعماق تلك النفس العجيبة والمريضة ، فمن المحتمل إلى أقصى حد أن يكون الأمير قد أراد أن يحكم على قيمة المواهب المسرحية عند رجل محكوم عليه بالموت ، أراد أن يستغل هذه الفرصة ليقوم بتجربة فسيولوجية ذات فائدة جوهرية ، وأن يتحقق من مدى قدرة الصفات المعتادة لفنان على أن تتغير ، وأن تتعدل حسب الموقف غير العادى الذى وجدت نفسها فيه .

وفيما عدا ذلك ، هل كانت بنفسه رغبة إلى حد ما فى الرزفة ؟ هذه نقطة لم يكن بالإمكان استيضاحها مطلقاً .

وأخيراً جاء اليوم العظيم ، فأظهر هذا البلاط الصغير كل أبهته وإن كان من الصعب ، إلا لمن رأى بنفسه ، أن يفهم كل ما تستطيع الطبقة المتميزة في دولة صغيرة ذات موارد محدودة أن تستعرضه من الأبهة في احتفال حقيقي - وكان هذا حقيقياً على نحو مضاعف . أولاً ، لسحر البذخ المستعرض ثم للفائدة الأخلاقية والغامضة التي ترتبط به .

كان السيد فانسيول بارعاً بصفة خاصة في الأدوار الصامتة أو المحملة بكلام قليل ، والتي كانت في الغالب أدواراً رئيسية في المسرحيات الخلابية التي يمثل موضوعها سر الحياة على نحو رمزي ، فدخل إلى المسرح برشاقة وبسهولة كاملة ، مما ساهم في تدعيم فكرة العنوية والنفوس عن جمهور النبلاء .

حين يقال عن ممثل فكاهي : « هذا ممثل جيد » فإن المرء يستخدم صيغة تعني ضمناً أن تحت الشخصية مازال يمكن التكهن بوجود الممثل ، بمعنى الفن ، والمجهود ، والإرادة ، ولكن عندما يصل الممثل الفكاهي إلى ذروته فإن هذا يعود نسبياً إلى الشخصية التي كُفَّ بالتعبير عنها ، ذلك أن أروع التماثيل القديمة التي تبدو نشيطة ، حية ، متحركة ، متبصرة على نحو معجز ، كان يرجع أساساً إلى الفكرة العامة للجمال ، فهذا دون شك سيكون حالة فريدة وغير متوقعة تماماً .

لقد كان فانسيول ، ذلك المساء ، تجسيداً تاماً للكمال ، حتى صار من المستحيل ألا نعدده حياً ، ممكناً ، حقيقياً ، فلقد كان هذا المهرج يذهب ، ويجيء ، ويضحك ، ويبكي ، ويختلج ، وحول رأسه هالة لإتقنى ، هالة لا يراها الجميع ولكني أراها ، حيث امتزجت في اندماج غريب أشعة الفن بمجد الشهيد ، كان فانسيول يقدم ببراعة خاصة ، لا أدرى مصدرها المقدس ، وما فوق الطبيعي ، حتى في أكثر الأضاحيك إفراطاً

فى الغرابة ، إن قلمى ليرتعث ، وتتصاعد الدموع إلى عىنى من عاطفة
تحضرنى دائماً فىما أبحث لكم عن وصف لذلك المساء الذى لاىنىسى .
لقد أثبت لى فانسىول بطرىقة قاطعة ، لاىمكن دحضها أن سكر الفن
أقدر من كل ما عداه على أن يحجب مخاوف الهاوية، وأن العبقرىة
قادرة على أداء الفكاهة على شفا القبر ، بفرح يمنعها من رؤىة القبر ،
سادرة كما هى ، فى فرىوس مستبعدٍ لكل فكرة عن القبر والفاء .

سرعان ما وقع كل هذا الجمهور أىا كان لامبالىا وسطحىا ، تحت
تأىئر سطوة الفنان البالغة القوة ، ولم يعد أحد يحلم بالموت والحداد ،
ولابالعذاب ، وترى كل منهم نفسه ، دون قلق ، للشهوات المتعددة التى
تمنحها روىة الروائع الفنىة ، وزلزلت انفجارات الفرح والإعجاب المرة
تلو الأخرى قباب الصرح بحىوىة الرعد المستمر ، حتى الأمير نفسه ،
مزج تصفىقه بتصفىق بلاطه .

غىر أن سكره هو لم يكن خالصا غىر ممتزج بمشاعر أخرى ولم
ىكن هذا لىغىب عن العىن البصىرة ؛ فهل شعر بهزىمة سلطته كطاغىة ؟
وبأنه أذى فى فنه وقدرته على إثارة الذعر فى القلوب وتخدىر العقول ؟
وأن أماله قد خابت ، وتمت السخرىة من تنبؤاته ؟ مثل هذه الافتراضات
غىر المبررة وإن لم ىكن من المستحىل تبرىرها ، مرت بخاطرى فىما كنت
أتأمل وجه الأمير الذى ىتراكم شحوب جدىد ، دون توقف ، إلى شحوبه
المعتاد ، كما ىتراكم الثلج على الثلج ، وكان ىزُم شفتىه أكثر فأكثر ،
وعىناه تلتمعان بنار داخلىة تشبه نار الغىرة والصفىنة حتى أثناء
تصفىقه بصورة متفضلة لمواهب صدىقه القدىم ، المهرج الغرىب الذى
سخر بالموت سخرىة مرىرة ، وفى لحظة معىنة ، رأىت صاحب السمو
ىنحنى على وصىف صغىر كان ىقف خلفه ، وهمس فى أذنه فانفجرت
سحنة العفرىت فى هذا الطفل الوسىم عن ابتسامة ، ثم غادر المقصورة

الأميرية بحيوية كما لو كان مكلفا بمهمة عاجلة .

وبعد بضع دقائق ، انطلقت صفارة حادة طويلة ، قاطعت فانسيول في واحدة من أفضل لحظاته ومزقت الأذان والقلوب في الوقت نفسه ، وفي المكان من القاعة الذي انطلق منه هذا الاستنكار غير المتوقع اندفع طفل يسير في ممر بضحكات مكتومة .

انتفض فانسيول ، مستيقظاً من حلمه ، وأغمض عينيه أولاً ، ثم عاد ففتحهما تقريباً في الحال ، وقد اتسعتا بصورة غير مألوفة ثم فغرفاه كأنه يتنفس متشنجاً ، وترنح قليلاً إلى الأمام ، وقليلاً إلى الخلف ، ثم سقط ميتاً على خشبة المسرح .

هل خيبت الصفارة السريعة كالسيف أمل الجراد حقاً ؟ هل تنبأ الأمير نفسه بالتأثير القاتل لدهائه ؟ هذا مسموح بالشك فيه ، هل حزن على عزيزه فانسيول الذي لا يمكن تقليده ؟ إنه جميل وشرعى أن نصدق هذا .

أما النبلاء المذنبون فقد استمتعوا للمرة الأخيرة بعرض الفكاهة ، وفي الليلة نفسها مسحوا من الحياة .

ومنذ ذلك الحين ، جاء ممثلون صامتون كثيرون ينالون التقدير العادل في مختلف البلاد ليمثلوا أمام بلاط الأمير ، ولكن أحدا منهم لم يُذكرنا بمواهب فانسيول المدهشة ولم يرتفع أحد إلى مستوى فضله !

العملة الزائفة

La Fausse Monnaie

بينما كنا نبتعد عن متجر لبيع التبغ ، قام صديقي بفرز دقيق لنقوده ودس في جيب صدازه الأيسر قطع الذهب الصغيرة ، وفي الأيمن قطع الفضة الصغيرة ، وفي جيب سرواله وضع مجموعة كبيرة من قطع الفكة ، وأخيرا وضع في جيبه الأيمن قطعة نقود من فئة الفرنكين ، كان قد فحصها على نحو خاص .

قلت لنفسى : " هذا تقسيم فريد ودقيق " .

ثم قابلنا فقيرا كان يمد قلنسوته إلينا مرتعدا ، لم أعرف شيئا أكثر إقلاقا من الفصاحة الصامتة في هاتين العينين المستجديتين اللتين تحويان ، في الوقت نفسه ، للإنسان الحساس الذى يستطيع أن يقرأ فيهما ، قدرا من التواضع وقدرا من اللوم ، ويجد فيهما شيئا ما يقترب من عمق العاطفة المعقدة فى العيون الدامعة للكلاب عند ضربها بالسياط .

وقد كانت الصدقة التى أعطاه إياه صديقى أكبر بكثير من صدقتى ؛ فقلت له : " أنت على حق ، فمتعة الإحساس بالدهشة لا يفوقها إلا متعة إثارة الدهشة " أجابنى بهدوء كأنه يبرر إسرافه : « لقد كانت تلك هى القطعة الزائفة » .

ولكن ، داخل عقلى البائس الذى ينشغل دائما بالبحث عن منتصف النهار فى الساعة الرابعة عشر (أى صفة مرهقة أهدتنى إياها الطبيعة) لمعت هذه الفكرة فجأة ، أن سلوكا مماثلا من جانب صديقى ما كان

يمكن تبريره إلا بالرغبة في خلق حادثة في حياة هذا الشيطان الفقير ، وربما كذلك لمعرفة النتائج المختلفة ، مشئومة أو غير مشئومة ، التي يمكن أن تسببها قطعة زائفة في يد متسول . ألا يمكن أن تتكاثر بقطع حقيقة ؟ ألا يمكن أن تقوده أيضا إلى السجن ؟ فربما أبلغ عنه صاحب ملهى أو خباز ، على سبيل المثال ، على أنه مزيف للنقود ، أو مروج لعملات زائفة . كما أن القطعة الزائفة يمكن أن تصبح ، بالنسبة لمضارب شاب فقير في بورصة ، نواة لثروة في بضعة أيام ، وهكذا ، أخذ خيالي مجراه ، مقترضا أجنحة عقل صديقي ، ومستخرجا كل النتائج الممكنة من كل الفرضيات الممكنة .

ولكن صديقي مزق أحلامي فجأة وهو يسترجع كلماتي نفسها :
" نعم ، أنت على حق فليس هناك ما يمنح سعادة أكثر جمالا من مفاجأة إنسان بإعطائه أكثر مما يحلم به " .

ورحت أنظر إليه في بياض عينيه ، فشعرت بالرعب لرؤيتي عينية تلتمعان ببراءة لاجدال فيها ، ورأيت حينئذ بوضوح أنه كان يريد تقديم الإحسان وعقد صفقة رابحة في الوقت ذاته ، ليكتسب أربعين فلسا وقلب الله ، ويحصل على الفربوس بسعر اقتصادي . وأخيراً ، يقتنص مجانا شهادة بأنه محسن ، كنت سأغفر له تقريبا رغبته في الفرح الآثم الذي كنت سأفترض بعد قليل أنه قادر عليه ، وربما وجدت من العجيب والغريب أنه تسلى بتعريض الفقراء للخطر ، ولكني لن أغفر له أبدا غباء حسابه ، فليس يغفر للمرء مطلقا كونه شرير ، ولكن هناك مزية في معرفة أن المرء كذلك .

إن أكثر الرذائل عدم قابلية للإصلاح هو أن تعمل الشر في حماقة !

اللاعب الكريم

Le Joueur Genereux

شعرتُ بالأمس خلال زحام الشارع الكبير أن كائنا يحتكُ بي دائما أرغب في معرفته ، وقد تعرفت عليه في الحال رغم أنى لم أره مطلقا ، وقد كانت لديه ، دون ريب ، رغبة مماثلة تجاهى نسبيا ، لأنه غمز لى بطرفه ، عند مروره ، غمزة ذات مغزى ، أسرعت على إثرها فى إطاعته ، وتبعته فى انتباه ، وبعد قليل ، نزلت خلفه إلى مسكن رائع تحت الأرض حيث كان يشرق ببذخ لايمكن لأى من المنازل الممتازة فى باريس تقديم مثال يقترب منه ، وقد بدا لى غريبا أننى كنت أمر بجانب هذا المأوى المهيب مرات كثيرة دون أن أتكهن بمدخله ، وكان يسود هناك جو رائع رغم أنه يدير الرأس ، جعلنى أنسى تقريبا على الفور كل مخاوف الحياة المملة . هناك كان المرء يتنفس سعادة أبدية معتمدة ، تشبه التى لا بد يشعر بها أكلو اللوتس وهم يهبطون جزيرة خلابة ، تضيؤها ومضات ظهيرة سرمدية ، حيث يشعرون برغبة تولد فيهم ، من الأصوات الغافية للشلالات الشادية ، فى ألا يلتقوا أبدا بألهة بيوتهم : زوجاتهم وأطفالهم ، وألا يعودوا أبدا لركوب أمواج البحر العالية .

كانت هناك وجوه غريبة لرجال ونساء ، تتميز بجمال قاتل ، حتى خيل إلى أنى رأيتها من قبل فى عصور وبلاد يستحيل على تذكرها تماما ، وقد ألهمتني تعاطفا أخويا وليس الخوف الذى يولد على نحو عادى عند رؤية الغريب : فإذا أردت محاولة تحديد التعبير الفريد لنظراتها ، بأى طريقة كانت ، فإنى سأقول إنى لم أر مطلقا عيوننا لامعة أكثر نشاطا فى خوفها من الضجر ، وفى رغبتها الخالدة فى الإحساس بالحياة من هذه العيون .

صرنا مضيقي وأنا ، بالفعل ، عند جلوسنا صديقين قديمين حميمين ، أكلنا وشربنا بإفراط كل أنواع الخمور غير العادية ، والشيء الذي لا يقل عن هذا غرابة أنه بدا لي ، بعد عدة ساعات ، أنني لم أكن أزيد عنه سكرًا ، غير أن اللعب ، ذلك الفرغ فوق الإنساني كان يقطع ، خلال فترات متنوعة إفراطنا الدائم في الشراب ، ويتبغى القول أنني لعبت وفقدت روحى التى كانت لاتزل مرتبطة نوعًا بى ، باستهتار ولامبالاة بطوليتين . إن الروح شىء غير ملموس ، وكثيرا مايكون غير مفيد ، وأحياناً شديد الإزعاج حتى إنى لم أقاس فيما يتعلق بهذه الخسارة إلا قليلا من الانفعال كالذى أشعر به حين أفقد ، فى نزهة . خريطة زيارتى .

ودخنا طويلا بعض السيجار الذى كانت نكهته ورائحته لامثيل لهما ، كانتا تملآن الروح بالحنين إلى أوطان ومسرات مجهولة ، ولأننا سكرنا بكل هذه اللذات ، تجرأت فى نوبة ألفة لم يظهر ضيقه بها ، وهتفت صائحا وقد استحوذت على كأس مملوءة حتى الحافة : « فى صحتك السرمدية أيها التيس العجوز ! »

وتحدثنا كذلك عن الكون ، عن خلقه ، وعن فنائه المستقبلى عن الفكرة العظيمة التى سادت القرن ، بمعنى التقدم وقابلية الاكتمال ، وبصفة عامة ، عن كل أشكال الغرور البشرى ، وعن هذا الموضوع فإن صاحب السمو لم ينص له معين من السخرية الخفيفة التى لاتدحض ، وعبر لى عنها بعذوبة إلقائه وبهدوء طرافته التى لم أجدها عند أى من متحدثى البشرية الأكثر شهرة ، وشرح لى سموه عبثية الفلسفات المختلفة التى سيطرت على العقل البشرى حتى الوقت الحاضر ، بل تفضل فكشف لى سر بعض المبادئ الأساسية التى لايليق بى أن أشارك

فى فوائدها وامتلاكها مع أى شخص كان ، وسموه لايشكو من السمعة السيئة التى يتمتع بها فى كل أنحاء العالم ، وأكد لى أنه هو نفسه الشخصية الأكثر اهتماماً بتدمير الخرافة واعترف لى بأنه لم يشعر بالخوف نسبياً على سلطته الشخصية إلا مرة واحدة .

كان ذلك يوم استمع إلى واعظ أكثر لماعية من كل زملائه يصيح على منبر : «إخوانى الأعزاء لاتنسوا أبدا عندما تسمعون الإشادة بتقديم التنوير أن أكثر خدع الشيطان جمالا هو إقناعكم بأنه لا وجود له» .

وعلى نحو طبيعى ، قادتنا ذكرى هذا الخطيب الشهير إلى موضوع الأكاديميات ، وأكد لى نديمى الغريب أنه لم يزدر، فى كثير من الحالات ، إلهام ضمير علماء التربية وقلمهم وكلامهم ، وأنه كان يساعد بشخصه تقريبا على الدوام فى كل الجلسات الأكاديمية رغم أنه كان غير مرئى .

ولما شجعنى هذا القدر من الطيبة ، سألته عن أخبار الإله ، وعمّا إذا كان قد رآه مؤخرا ، فأجابنى فى لا مبالاة يشوبها حزن ما : « نحن نتبادل التحية عند لقائنا ، ولكن كنبيلين قديمين لايمكن لتهديبها الفطرى أن يطفى تماماً ذكرى الأحقاد القديمة » .

ومن المشكوك فيه أن يكون صاحب السمر قد منح مقابلة طويلة كهذه أبدا لإنسان بسيط فان ، وكنت أخاف أن أكون قد أفرطت فى استغلالها ، وأخيرا ، عندما أضاء الفجر المرتعش الزجاج ، قالت لى هذه الشخصية الشهيرة التى تغنى بها كثير من الشعراء ، وخدمها الفلاسفة الذين يعملون من أجل مجدها دون أن يعرفوها : « أريد أن تحتفظ منى بذكرى جميلة ، وأن أثبت لك ، أنا الذى يتحدث عنه الناس بكثير من السوء ، إننى أحيانا ما أكون شيطانا طيبا ، حتى تخدمنى

ياحدى عباراتك المبتذلة ؛ فلكي تعوض الخسارة التي منيت بها روحك ،
والتي لايمكن شفاؤها فإني سأمنحك الرهان الذي كنت ستكسبه إذا كان
الحظ قد حالفك ، أعني القدرة مدى الحياة على مداواة داء الضجر
الغريب والتغلب عليه ، هذا الداء الذي هو مصدر كل أمراضكم ، وكل
تقدمكم البائس ، ولن تتولد لديك رغبة أبدا إلا ساعدتك على تحقيقها ،
وستسيطر على كل أمثالك من السوقة ، وستكون أهدافا للنفاق والإعجاب
فى الوقت نفسه ، وستأتى الفضة والذهب واللاكى والقصور الساحرة
باحثة عنك ، ترجوك أن تقبلها ، دون أن تكون قد بذلت أى جهد فى
اكتسابها ، وستغير من الأوطان والأقطار ماسيمليه عليك خيالك ،
وستسكر من الشهوات دون إعياء ، فى بلاد خلافة ، حيث الجو حار
دائما ، وحيث ينبعث العطر من النساء كما ينبعث من الأزهار ... إلخ ،
أضاف ذلك وهو ينهض صارفاً إياى بابتسامة ساحرة .

لولا خشيتى أن أحط من شأنه أمام هذا الحشد الكبير لسقطت
بملاء إرادتى على قدمى هذا اللاعب الكريم لأقدم له الشكر على سخائه
الذى لامثيل له ، ولكن شيئاً فشيئاً بعد أن تركته تسربت إلى صدرى
ريبة لا تشفى ، ولم أجرؤ على تصديق هذه السعادة الخارقة ، وعند نومى
وأنا أرتل صلاتى بما بقى لى من عادة بلهاء ، رحمت أردد نصف نائم : « يا
إلهى ، ياسيدى ، ياربى ، اجعل الشيطان يفى بما وعدنى فى كلامه

الحبل

La Corde

(إلى إدوار مانيه) (١)

كان صديقي يقول لى : « إن الأوهام لا تحصى ، وربما كانت بنفس قدر العلاقات بين الناس ، أو بين الناس والأشياء ، وعندما تختفى الأوهام ، أى عندما نرى الوجود أو الواقع كما هو موجود خارج أنفسنا نحس شعورا غريبا معقدا نصفه أسف لاختفاء الطيف ونصفه دهشة سارة أمام الجديد ، أمام الواقع الحقيقى ، فإذا كان هناك ظاهرة واضحة مسلم بها ، متشابهة دائما ، وذات طبيعة فى ذاتها من المستحيل أن نخطئها ، فهى الحب الأموى ؛ فمن الصعب أن نفترض أما دون حب أموى مثلما يصعب تخيل الضوء دون حرارة ، أليس هذا مشروعاً تماماً أن نعزو إلى الحب الأموى كل أفعال الأم وأقوالها التى تتعلق بطفلها ؟ ومع ذلك استمعوا إلى هذه القصة الصغيرة التى خدعت فيها على نحو خاص بأكثر الأوهام الطبيعية : « تدفعنى مهنتى ، مهنة الرسم إلى النظر فى انتباه إلى الوجوه والملامح التى تعترض طريقى ، وتعرفون مدى المتعة التى نستمدتها من هذه الصفة التى تجعل الحياة فى نظرنا أكثر حيوية ، وأعمق معنى مما هى عند غيرنا من البشر ؛ ففى الحى البعيد الذى أسكنه ، حيث توجد مساحات واسعة من العشب ، ماتزال تفصل المباني عن بعضها ، كنت غالبا ما ألاحظ طفلا كانت

(١) رسام فرنسى كبير (١٨٣٢ - ١٨٨٣) هو المؤسس الأول للحركة الانطباعية فى فرنسا ، وهو الراوى فى القصيدة .

ملامحة متوهجة وشيطانية تروقنى فى البداية أكثر من كل زملائه ، ولقد وقف أمامى كنموذج أكثر من مرة وحولته تارة إلى بوهيمى صغير وتارة إلى ملاك ، أو إله للحب الأسطورى ، وجعلته يحمل كمان المتشرد ، وتاج الشوك ، ومسامير الآلام ومشعل إيروس . أستمد أخيرا من فكاهاة هذا الولد العفويت سعادة بالغة ، حتى أنى ذات يوم ، رجوت والديه ، وهما فقيران ، أن يتنازلا لى عنه واعدًا أن أكسوه جيدا ، وأعطيه بعض المال ، وألا أفرض عليه مشقة أخرى إلا تنظيف فرش الألوان ، وشراء حاجياتى وصار هذا الطفل ، بعد اغتساله ، فاتنا ، وبدت الحياة التى يعيشها عندى فى نظره فردوسا بالمقارنة بالحياة التى كان سيقاسيها فى الكوخ الأبوى ، فقط ينبغى القول إن هذا الصبى أدهشنى أحيانا بنويات حزن غريبة سابقة لأوانها . وإنه كان يبدى ميلا غير معتدل إلى السكر والخمور ، حتى إنى تحققت ذات يوم ، بالرغم من تحذيراتى الكثيرة ، أنه ارتكب سرقة جديدة من هذا النوع ، فهددته بأنى سأعيده إلى أبويه ، ثم خرجت واضطرتنى شئونى إلى البقاء طويلا خارج بيتى .

« لن تتصور مدى رعبى ودهشتى عندما عدت إلى البيت فكان أول شىء لفت نظرى هو أن الصبى الصغير ، رفيق حياتى الشقى ، كان يتدلى من باب خزانة الملابس مشنوقا ، وكانت قدماه تلامسان الأرضية تقريبا ، وكان أحد الكراسى الذى دفعه برجله دون شك ، مقلوبا بجانبه ، وكانت رأسه مائلة فى تشنج على أحد كتفيه ، وكان وجهه متورما ، وعيناه واسعتين مفتوحتين تحديقان على نحو مرعب جعلنى أتوهم فى البداية أنه مازال حيا ، ولم يكن إنزاله عملا بالسهولة التى قد تظنون ؛ فقد كان بالفعل متصلبا تماما ، وداخلى نفور لايفسر لفكرة إسقاطه فجأة على الأرض .

كان ينبغى أن أسند جسده كله بذراع وييد الذراع الأخرى أقطع الحبل ، ولكن هذا العمل لم ينتبه بإتمامى تلك المهمة فإن الوحش الصغير قد استخدم خيطا رفيعا للغاية غاص بعمق فى لحمه ، وكان ينبغى الآن

أن أبحث بمقصد دقيق عن الحبل بين حلقتي الورم حتى أخلص رقبتة .

« نسيت أن أقول إنني ناديت بكل قوة طلباً للعون ، ولكن كل جيرانى رفضوا أن يحضروا لمساعدتى ، مخلصين فى ذلك لعادات الرجل المتحضر الذى لا يريد ، لا أعرف لماذا ، أن يقحم نفسه فى شئون مشنوق ، وأخيراً ، جاء طبيب ، وأوضح أن الطفل قد مات منذ عدة ساعات ، وفيما بعد حينما أن أوان خلع ملابسه لتكفينه كانت الجثة متصلة إلى حد يئسنا معه أن نثنى الأعضاء ، فكان لابد أن نترع ونمزق ملابسه لنخلصها .

" كان من الطبيعى أن أقص الحادثة على مفتش الشرطة ، فنظر إلى شذرا وقال : « هذا أمر مثير للشبهة » مدفوعاً دون شك برغبة أصيلة وبعادة فى الأحوال لنشر الخوف ، بصورة عشوائية عند الأبرياء والمذنبين على السواء .

« بقيت نقطة كبرى لابد من إنجازها ، سببت لى فكرتها وحدها قلقاً مخيفاً ؛ إذ كان لابد من إبلاغ الوالدين ، كان قدماى يرفضان أن يقودانى إليهما . وأخيراً ، جاعتنى الشجاعة ، ولكن لدهشتى البالغة ، كانت الأم باردة الأعصاب لم تنزل دمعة من طرف عينها ، وكنت أعزو هذه الغرابة إلى اللوعة التى لابد أنها تعانىها ، وتذكرت الجملة المعروفة « إن الآلام العظيمة ، هى الآلام الخرساء » أما الأب فقد اكتفى بقوله بمظهر نصف متبلد ونصف حالم : « عموماً ، ربما كان هذا أفضل ، فقد كان سينتهى نهاية سيئة على كل حال » .

وفى هذه الأثناء ، كانت الجثة ممددة على أريكتى ، وكانت تساعدنى خادمة خلال انشغالى بالاستعدادات الأخيرة ، عندما دخلت الأم إلى مرسمى ، وقالت إنها تريد أن ترى جثة ابنها ، لم أكن أستطيع فى الواقع أن أمنعها من أن تسكر بمحنتها ، وأن أرفض لها هذا العزاء الرائع المعتم ، وبعد ذلك توصلت إلى أن أشير لها على المكان الذى كان

صغيرها مشنوقا فيه ، فأجبتها : « لا ياسيدتى .. إن هذا سيسوءك » ، وعندما درت بعيني لا إراديا إلى الخزانة المشنومة ، لمحت فى تقرز ممزوج بالرعب والألم أن المسمار مازال مفروسا فى الحاجز يتدلى منه طرف حبل طويل ، فاندفعت بحيوية لنزع الآثار الأخيرة للكارثة وعندما ذهبت لإلقائها من النافذة المفتوحة أمسكت المرأة المسكينة بذراعى وقالت بصوت لايقاوم : « أه يا سيدى .. دع لى هذا ، .. أرجوك ، اتوسل إليك » وبدا لى أن بأسها قد ملأها فزعا إلى حد جعلها تشعر بالرقعة نحو الآداة المستخدمة فى قتل ابنها ، وكانت ترغب فى حفظها كبقايا مرعبة غالية ، واخذت المسمار والخيط .

وأخيرا ، أخيرا ، كان كل شىء قد انتهى ، ولم يبق إلا ان أعود إلى العمل ، أكثر حيوية من المعتاد ، لأطرد شيئا فشيئا هذه الجثة الصغيرة التى تزور طوايا عقلى والتى أرهقنى طيفها بعينيه الواسعتين الثابتتين ، ولكنى ، فى اليوم التالى ، تسلمت حزمة من الخطابات ، بعضها من سكان منزلى ، وبعضها الآخر من المنازل المجاورة ، أحدهما من الدور الأول وثانيها من الثانى ، وآخر من الثالث ، وهكذا تباعا ، البعض منها بأسلوب نصف ساخر كأنه يحاول أن يخفى تحت قناع مزاح ظاهرى جدية الطلب ، وبعضها الآخر وقح على نحو ثقيل وبه أخطاء هجائية ، ولكنها تهدف جميعا إلى الغرض نفسه أى أن تحصل منى على قطعة من الحبل المشنوم المبارك .

لا بد أن اقول أن عدد توقيعات النساء كان أكثر من الرجال ، ولكن صدقونى جميعاً ، لم يكن أحد منهم ينتمى إلى الطبقة الدنيا أو طبقة العوام ، لقد احتفظت بهذه الخطابات .

« وحينئذ ، لمعت ومضت فى ذهنى ، على حين غرة ، وفهمت لماذا أصرت المرأة على انتزاع الخيط منى ، وبأى تجارة كانت تنوى أن تتعزى » .

الدعوات

Les Vocatios

فى حديقة جميلة ، حيث بدت أشعة شمس الخريف وكأنها تترىث كما يطيب لها تحت سماء تميل إلى الخضرة ، تعوم فيها سحبات ذهبية كقارات مرتحلة ، كان أربعة أطفال وسام ، أربعة صبية ، وقد سنموا من اللعب لاشك ، يتبادلون الحديث .

كان أحدهم يقول : « ذهبت مع شخص إلى مسرح بالأمس ، فى قصور كبيرة وحزينة يرى المرء فى عمقها البحر والسماء ، ورجالا ونساء جادين وحزانى أيضا ، ولكنهم أكثر جمالا وأفضل ملبسا من أولئك الذين نراهم فى كل مكان ، يتحدثون بصوت شاد . إنهم يهددون بعضهم ، ويتوسلون ، ويحزنون ويضغطون بأيديهم غالبا على خناجر مفروزة فى أحزمتهم .

أه .. هذا جميل جداً ! والنساء أجمل وأعظم بكثير من النساء اللاتى يأتين لرؤيتنا فى المنازل ، وبالرغم من عيونهن الواسعة العميقة وخدودهن الملتهبة ؛ فقد كان لهن مظهر مخيف ، ومع هذا لا يستطيع المرء أن يمنع نفسه من حبهن ، ومع أن المرء يخاف وتتولد لديه رغبة فى البكاء فإنه يكون راضيا ، وحينئذ ، وهذا ما هو أغرب ، يمنحه هذا رغبة فى أن يرتدى الملابس نفسها ، وأن يقول وأن يفعل الأشياء نفسها ، وأن يتحدث بالصوت نفسه . »

وكان أحد الأطفال الأربعة لا يصغى لحديث رفاقه منذ بضع ثوان ،
كان يلاحظ فى ثبات مدهش لا أدرى أى نقطة فى السماء ، وقال فجأة :
« انظروا .. انظروا هناك .. هل ترونه ؟ إنه يجلس على هذه السحابة
الصغيرة المنعزلة هذه السحابة الصغيرة الحمراء التى تسير فى رفق ،
كما لو كان يرانا هو أيضا » .

وتساعل الآخرون : « ولكن .. من هو إذن ؟ » فأجاب فى لهجة
اقتناع كامل : « الله ! .. إنه الآن يبتعد كثيرا ، لن تستطيعوا رؤيته بعد
قليل . إنه يسافر بلاشك ليزور كل البلاد . انظروا ، إنه سيمر خلف هذا
الصف من الأشجار الذى يبدو تقريبا فى الأفق ، والآن فإنه ينزل وراء
برج الجرس ، أه لن يعود أحد يراه » ، وظل الطفل ملتفتا مدة طويلة إلى
الجهة نفسها ، مثبتا عينيه على الخط الفاصل بين الأرض والسماء ، وقد
لمع فيهما تعبير لا يفسر من النشوة والأسف .

وحينذاك قال الثالث الذى تميز شخصه الصغير بحمية وحيوية
غريبتين : « أهو غبى ذلك الفتى هناك ، مع إلهه الطيب الذى يستطيع
وحده أن يلمحه ؟ ؛ »

« سأقص عليكم ما حدث لى ولم يحدث قط لكم ، وهو أمتع قليلاً
من مسرحكم ومن سحبكم - منذ بضعة أيام صطحبنى والداى فى رحلة
معهما ، وعندما نزلنا فى فندق لم تكن هناك أسرة كافية لنا جميعا ،
فتقرر أن أنام فى السرير نفسه مع خادمتى » ، وجذب رفاقه قريبا منه ،
وتحدث فى صوت أكثر انخفاضا : « إن لهذا تأثيراً غريباً ألا تنام فى

سرير واحد مع خادمك في الظلمات ، وعندما لم يغلبني النوم ، تسليت فيما هي نائمة ، بتمرير يدي على ذراعها على عنقها وعلى كتفها ، وكان ذراعها وعنقها أكثر امتلاء من كل النساء الأخريات ، وكانت بشرتها بالغة النعومة ، أكثر نعومة ، كما يقال ، من ورق الخطابات أو من ورق الحرير .

وقد نلت قدرا من اللذة حتى إنى كنت سأستمر طويلا لو لم يملكنى خوف ، خوف من أن أوقظها أولا ، ثم خوف أيضا مما لأدرى كنهه ، وبعد ذلك دسست رأسي في شعرها الذي كان يسترسل على ظهرها كثيفا كعرف الفرس ، وكانت رائحته جميلة أيضا ، أوكد لكم ، كزهر الحديقة في هذه الساعة ، فحاولوا حينما تسنح لكم الفرصة أن تفعلوا مثلما فعلت ، وسترون .

كان المؤلف الشاب صاحب هذا الكشف المعجز قد حلق بعينه وهو يحكى قصته بنوع من الذهول مما كان لا يزال يشعر به ، وكانت أشعة الشمس الغاربة ، وهي تنزلق عبر الحلقات الصهباء لشعره المنفوش قد أضاعته كهالة متوهجة للعشق ، وكان من السهل التكهن بأن هذا الفتى لم يكن يضيع حياته في البحث عن الألوهية في الغمام ، وأنه كان يجدها باستمرار في أماكن أخرى .

وأخيراً قال الرابع : « أنتم تعرفون أنى نادرا ما أجد تسليتي في البيت ، ولم يصحبنى أحد مطلقا إلى مسرح وأن الوصي على شديدي البخل ، وأن الله لا يشغل نفسه بي ولا بأمي ، وليس عندي خادمة جميلة لتدلني ، لقد كان يبدو لي في أغلب الأحيان أن سعادتى ستكون فى السير قدماً إلى الأمام دون أن أعرف إلى أين ، ودون أن يشغل أمرى إنسان ، وأن أرى دائما بلداً جديدة .

إننى لا أكون سعيدا مطلقا فى أى مكان ، وأعتقد دائما أنى سأكون أفضل فى أماكن أخرى غير التى أكون بها ، وقد رأيت الآن ثلاثة أشخاص فى السوق الأخيرة لقرية مجاورة ، يعيشون كما أريد أن أعيش . إنكم لم تنتبهوا إليهم أنتم الآخرون ، لقد كانوا أقوياء ، وكانوا تقريبا من السود ، وفخورين تماما ، رغم أنهم كانوا فى أسمال ، ولا يوحى مظهرهم باحتياج إلى أحد ، كانت عيونهم القاتمة الواسعة تلتمع فجأة حين يعزفون الموسيقى ، موسيقا مدهشة حتى أنها كانت تثير الرغبة تارة فى الرقص وتارة فى البكاء ، أو فى عمل الاثنين معاً فى الوقت نفسه ، وحتى يصبح المرء كامجنون إذا أطال الاستماع إليها ، كان أحدهم حين يسحب قوسه على كمانه يبدو كمن يحكى حزنه والآخر حين يجعل مطرقتة الصغيرة تقفز على أوتار بيانو صغير معلق بحزام فى رقبتة ، يتخذ مظهر الساخر من شكوى جاره ، فيما يدق الثالث من وقت لآخر صنوجه بعنف غير عادى ، وكانوا راضين عن أنفسهم تماما حتى إنهم كانوا يستمرون فى عزف موسيقاهم الوحشية بعد أن يتفرق الزحام .

وأخيراً جمعوا أشياءهم وحملوا حاجياتهم على ظهورهم ، ورحلوا ، ولأنى أردت أن أعرف أين يقيمون ، فقد تبعتهم من بعيد حتى حافة الغابة ، حيث أدركت عند ذاك فقط أنهم كانوا لا يقيمون فى أى مكان .

وحينئذ قال أحدهم : « أينبغى أن ننصب الخيمة ؟ »

فأجابه الآخر : « لعمري لا ! إنها ليلة بالغة الصفاء » .

وقال الثالث وهو يحسب الدخول : « هؤلاء الناس لا يشعرون بالموسيقا ، ونساؤهم يرقصن كالديبة ، لحسن الحظ ، سنكون قبل شهر فى النمسا ، وهناك سنجد شعبا أكثر عشقا لها » .

وقال أحد الاثنى الآخرين : « قد نحسن صنعا بالذهاب إلى إسبانيا ، لأن هذا الفصل يتقدم ، فلنهرب قبل الأمطار ولانبل إلا حلوقنا » .

وهأنذا قد تذكرت كل شىء كما ترون . وبعد ذلك ، شرب كل منهم كأسا من النبيذ ، وناموا وقد أداروا جباههم نحو النجوم ، وردت فى البداية أن أرجوهم ليصبحونى معهم ، وأن يعلمونى العزف على آلاتهم ، ولكنى لم أجرو ، دون شك ، لأن من أصعب الأمور دائما أن تتخذ قرارا حول أى شىء ، كذلك لأنى كنت خائفا من القبض على قبل أن أصير خارج فرنسا » .

كان مظهر الرفاق الثلاثة الذى يدل على اهتمام قليل ، قد جعلنى أفكر أن هذا الصغير كان غير مفهوم حتى الآن ؛ فنظرت إليه بانتباه ، كان فى عينيه وفى جبهته نضج ماقاتل قبل الأوان ، يبعد عنه التعاطف بصفة عامة ، ويثيرنى دون معرفة السبب إلى حد أن خطرت لى فجأة فكرة غريبة وهى قدرتى على اتخاذه أخا لى غير معروف .

كانت الشمس قد غربت ، وحل مكانها الليل البهيم فافترق الأطفال ، وسار كل منهم فى غفلة ، حسب الظروف والمصادفات ، لينضج قدره ، ويفضح أقاربه ، وينجذب إلى المجد أو إلى العار !

الصولجان

LE Thyrese

” إلى فرانز ليست (١) ”

ما الصولجان ؟ حسب المعنى الأخلاقي والشعري هو رمز مقدس ، في أيدي الكهنة والكاهنات وهم يحتفلون بالإله الذي يعملون له مفسرين وخداما ، ولكن الصولجان بطبيعته ليس إلا عصا ، مجرد عصا ، عصا حشيشة الدينار ، دعامة الكرم ، صلبة وجافة ومستقيمة ، وحول هذه العصا ، داخل التعرجات النزقة ، تلعب وتمرح سيقان وأزهار ، هذه ملتوية وهاربة ، وتلك منحنية كأجراس أو كؤوس مقلوبة ، وينبتق مجد رائع من تعقد الخطوط والألوان ، سواء كانت رقيقة أو لامعة ، ألا يبدو هذا وكأن الخط المنحني واللولبي يغازلان الخط المستقيم ويرقصان حوله في عشق صامت ؟ أو أن كل هذه التويجات الرقيقة ، وكل كؤوس الورد هذه وانفجارات الروائح والألوان ، تمارس رقصة إسبانية صوفية حول العصا الجامدة ؟ ومع ذلك ، فمن هو الوقح الفانى الذى سيجرؤ على

(١) فرانز ليست (١٨١١ - ١٨٨٦) : عازف بيانو ومؤلف موسيقى مجرى عظيم ، أثر فيمن جاؤا بعده ، وجوهر عمله الفنى هو ابتكاره أسلوبيا مجريا فى الموسيقى الرومانسية ، واستخدامه القصيد السيمفونى بديلا للسمفونية الكلاسيكية ، مما مهد لوصول الرومانسية إلى أعلى درجات نضجها .

عاش فترة فى باريس وقد تأثر بالرومانسية ، وهو أحد ثلاثة ابتكروا فكرة اللحن الدال أو المميز Leitmotive وسماه اللحن المتحول ، والإشارة فى القصيدة إلى عصا المايسترو .

تقرير ما إذا كانت الأزهار والأغصان قد خلقت من أجل العصا ، وما إذا كانت العصا ليست إلا ذريعة لإبراز جمال الأغصان والأزهار ؟ إن الصولجان تمثيل لازدواجيتك المدهشة ، أيها السيد القوى المبجل ، أيها العابد الباخوسى العزيز للجمال الغامض مثير الشهوات ، أبدا لم تقم حورية وقد أثارها باخوس الذى لا يقهر بهز صولجانها على رؤوس رفيقاتها المذعورات بمثل هذا القدر من القوة والنزوة ، الذى تحرك به عبقريتك على قلوب إخوانك ؛ فالعصا هى إرادتك المستقيمة ، الثابتة التى لا تتزحزح ، والزهور نزهة خيالك حول إرادتك . إنها العنصر الأنتوى الذى يقوم بدوراته العجيبة حول الذكر ، خط مستقيم وخط من الأرابيسك ، قصد وتعبير ، وصلابة الإرادة ، والتواء العبارة ووحدة الهدف وتنوع الوسائل ، اندماج للعبقرية بالغ القوة ، لا يتجزأ ، فمن هو الذى يملك الشجاعة المقيتة على تقسيمكما وفصل أجزاءكما ؟

عزيزى ليست ، عبر الضباب ، فى الناحية الأخرى من الأنهار ، وفوق المدائن ، حيث تغنى آلات البيانو مجدك وتترجم المطابع حكمتك فى أى مكان تذهب إليه ، فى مفاخر المدينة الأبدية ، أو فى ضباب البلاد الحاملة التى تُعزى جامبرينيس مرتجلة أناشيد التلذذ أو الألم الذى لا يوصف ، أو تودع الأوراق تأملاتك العسيرة على الفهم ، يامنشد الشهوة والقلق السرمديين ، أيها الفيلسوف ، الشاعر والفنان ، أحييك فى الخلود !

اسكروا

Enivrez Vous

ينبغي السكر دائما ، هذا كل ما فى الأمر ، إنها المسألة الوحيدة
لكيلا تشعرُوا بالعِيب المرعب للزمن الذى يثقل كواهلِكُمْ ويجعلِكُمْ تتحنون
إلى الأرض ، ينبغي أن تسكروا دون راحة .

ولكن مم تسكرون ؟ من الخمر . من الشعر أو من الفضيلة كما
يطيب لكم ، ولكن اسكروا .

فإذا استيقظتم أحيانا على سلم قصر ، على العشب الأخضر
لقبر ، فى العزلة المقبضة لغرفكم ، وكان السكر قد خف بالفعل أو اختفى ،
فاسألوا الريح ، والموج ، والنجم ، والعصفور ، وساعة الحائط ، وكل
ما يهرب ، وكل ما يئن ، وكل ما يدور ، وكل ما يغنى ، وكل ما يتحدث ،
اسألوا ما الساعة ، وسيجيىكم الريح ، والموج ، والنجم ، والعصفور ،
وساعة الحائط : إنها ساعة السكر . لكيلا تكونوا عبيد الزمن الشهداء ،
اسكروا ، اسكروا ، دون توقف من النبيذ من الشعر ، أو من الفضيلة ،
كما يطيب لكم ؛

هكذا سريعاً

Deja !

طلعت الشمس مائة مرة من قبل ، مشرقة أو حزينة ، من هذا الحوض الهائل للبحر الذي لاتدرك شواطئه إلا بعناء ، وغاصت مائة مرة متلائة أو كئيبة في حمامه المسائي الهائل ، ومنذ عدة أيام ، كنا نستطيع أن نتأمل الجانب الآخر من قبة السماء ، وأن نفك شفرة حروف الهجاء السماوية من أقاصى الأرض ، وكان كل مسافر يئن ويهمهم ، وكأن الاقتراب من الأرض يزيد من معاناته ، وكانوا يتسألون : « متى إذن نتوقف عن النوم الذى يهزه الموج ، وترهقه ریح يرتفع صريرها أعلى من غطيطنا ، متى نستطيع أن نأكل من اللحم غير المملح كالعنصر الكريه الذى يحملنا ؟ .. متى نستطيع أن نهضم فى مقعد ثابت ؟ »

وكان منهم من يفكرون فى أوطانهم ويتحسرون على زوجاتهم الخائئات المتجهومات وعلى ذريتهم المتصايحة ، كانوا جميعا يكاد يصيبهم الجنون لصورة الأرض الغائبة التى أعتقد أنهم سيأكلون من عشبها بكثير من الحماسة كالبهائم .

وأخيراً ظهرت علامة لساحل ، ورأينا عند اقترابنا أنه كان أرضاً رائعة مبهرة ، كان يبدو أن موسيقا الحياة قد استحالت إلى موج هامس ، وأن شواطئها الغنية بالخضرة من كل الأنواع ، تضوع روائح منعشة من الأزهار والفاكهة لمسافة بعيدة .

وفى الحال ، صار الكل سعيداً ، وهجر مزاجه السيئ ونُسيت كل المعارك ، وغُفرت كل الأخطاء المتبادلة ، وكل المبارزات المتفق عليها

مُحيت من الذاكرة ، وتطايرت الأحقاد كالأدخنة .

وكنت أنا وحدي حزينا ، حزينا على نحو غير مفهوم ، كنت أشبه
كاهنا انتزع منه معبوده ، لم أكن أستطيع ، دون مرارة مؤلمة ، أن
أنفصل عن هذا البحر المغوى على نحو بالغ الوحشية ، عن هذا البحر
المتقلب بطريقة لانهائية تماما رغم بساطته المرعبة ، والذي يبدو أنه
يحوى في داخله ، ويمثل بالعبابه ، وهيئته ، وثوراته ، وابتساماته ،
الطبائع والعذابات والمسرات لكل الأرواح التي عاشت والتي تعيش والتي
ستعيش !

وعند قولى وداعا لهذا الجمال الذى لايقارن ، شعوت أنى حزين
حتى الموت ، وهذا هو السبب الذى يجعلنى عندما يقول أحد رفاقى :
« أخيراً ! » أصبح قائلاً : « هكذا سريعاً ؟ »

ومع ذلك كانت هى الأرض ، الأرض بكل ضجيجها وشهواتها ،
وبضائعها ، وأعيادها ، كانت أرضا غنية هائلة ملأى بالرعود التى ترسل
إلينا عطرا غامضا من الورد والمسك ، وكانت تصلنا منها موسيقا الحياة
فى همس عاشق .

النوافذ

Les Fenetres

إن ذلك الذى ينظر من الخارج عبر نافذة مفتوحة ، لا يرى مطلقا كثيرا من الأشياء كذلك الذى ينظر إلى نافذة مغلقة ؛ فلا يوجد شيء أكثر عمقا وأكثر غموضا ، وأكثر خصوبة ، وأشد عتامة ، وأكثر إشراقا من نافذة مضاءة بشمعة ، ذلك أن ما يستطيع الإنسان رؤيته فى الشمس يعد أقل إثارة للاهتمام دائما من ذلك الذى يحدث خلف الزجاج ، وفى هذه الفتحة السوداء أو المضيئة تحيا الحياة ، تحلم الحياة ، تقاسى الحياة .

إنى ألمح فى الناحية الأخرى من موجات السقوف امرأة ناضجة هاجمتها التجاعيد بالفعل ، فقيرة ، تنحنى دائما على شيء ما ، لاتخرج أبدا بوجهها ، بملابسها ، بإيماءاتها ، بلا شيء تقريبا ، أعدت صياغة قصة هذه المرأة ، أو بالأحرى أسطورتها ، وفى بعض الأحيان ، أقصها على نفسى باكيا ، ولو أنها كانت رجلا فقيرا عجوزا ، لكنت أعدت صياغة قصته بنفس السهولة ، وإنى لأرقد فخورا بأنى قد عشت وقاسيت ألامى من خلال آخرين غيرى .

ربما تقول لى : «أمتأكد أنت من أن هذه الأسطورة هى الحقيقية ؟ » ماذا يهم حتى لو كانت الحقيقة موجودة خارج ذاتى ، مادامت تساعدنى على الحياة ، وعلى الشعور بكيانى ، وبماذا أكون ؟

الرغبة فى الرسم

Le Desir De Peindre

كان الرجل سيئ الحظ ، ولكن محظوظ هو الفنان الذى تمزقه الرغبة .
إنى أتوق إلى رسم تلك التى لم أرها إلا نادراً ثم اختفت بسرعة
بالغة كشيء جميل يفتقده المسافر الذى غيبه الليل ، وكم مضى وقت
طويل منذ اختفائها !

إنها جميلة ، وأكثر من جميلة ، إنها مذهلة . يشع منها السواد وكل
ما تلهمه ليلى وعميق ، عيناها كهفان يتلأأ فيهما الغموض ونظرتها
تضىء كالبرق وكأنها انفجار فى الظلمات ، لو كان لى أن أقارنها
بشمس سوداء ، إذا استطاع الإنسان أن يتصور نجما أسود يصب
الضوء والسعادة ، ولكنها تبعث على التفكير عن طيب خاطر فى القمر
الذى أثر عليها ، دون شك بسطوته الرهيبة ، ولست أعنى القمر الأبيض
الذى يلهم الغزليات الرعوية ، والذى يشبه عروسا باردة ، وإنما القمر
المشئوم المسكر المعلق فى عمق ليلة عاصفة ، وتدفعه غيوم تجرى ، ليس
القمر الوادع الحذر الذى يزور نوم الرجال الأنقياء ، ولكن القمر المنتزع
من السماء مهزوما وعاصيا ، ويرغمه سحرة « تساليا » بقسوة على
الرقص فوق العشب المرتجف .

وفى جبينها الصغير تسكن الإرادة الصلبة وحب الفريسة ، مع أن
أسفل هذا الوجه المقلق ، حيث فتحت الأنف المتحركتان تستنشقان
المجهول والمستحيل ، تشرق برقة لا يمكن التعبير عنها ، ضحكة فم
واسع ، أحمر وأبيض ولذيذ ، يمنح الحلم بمعجزة زهرة رائعة تتفتح فى
أرض بركانية .

إن من النساء من يلهمن الرغبة فى قهرهن والتمتع بهن ، ولكن هذه
تمنح الرغبة فى الموت ببطء تحت بصرها .

أفضال القمر

Les Bienfaits De La Lune

نظر القمر الذى هو النزوة ذاتها ، من النافذة ، فيما كنت تنامين فى مهدك وقال لنفسه : « تعجبنى هذه الطفلة » ، ونزل فى نعومة على سلمه الغيمى ، ومر دون صخب عبر الزجاج ، وبسط نفسه عليك فى رقة أم حانية ، ونشر ألوانه على وجهك ، فبقيت حدقتا عينيك خضراوين ، وخذاك شاحبين على نحو غير عادى ، وعند تأملك هذا الزائر اتسعت عيناك على نحو بالغ الغرابة ، وضمك برقة إلى الصدر حتى انتابتك إلى الأبد الرغبة فى البكاء .

ومع ذلك ، ففى اتساع فرحه ، ملأ القمر الغرفة كلها ، كجو فسפורى ، كشراب مضئىء وكان كل هذا الضوء الحى يفكر ويقول : « ستعانين سرمدياً تائير قبلى ، ستكونين جميلة على طريقي ، ستحبين ما أحب ، ومن يحبنى : الماء والغمام ، والصمت ، والليل ، والبحر الهائل الأخضر ، والماء الذى لاشكل له ، والمتعدد الأشكال ، والمكان الذى لن تكونى فيه ، والعاشق الذى لن تعرفيه ، والزهور البرية ، والطور التى تبعث على الهديان ، والقسط التى تنتشى فوق البيانو ، والتى تئن كالنساء بصوت خشن وجذاب .

وسيعشقتك عشاقى ، ويتودد إليك من يتوددون إلى ، وستكونين ملكة على الرجال ذوى العيون الخضراء الذين ضممتهم إلى صدرى أيضا فى مداعباتى الليلية ، وعلى أولئك الذين يعشقون البحر ، البحر الهائل

الصاخب والأخضر ، والماء الذى لاشكل له ، والمتنوع الأشكال ، والمكان الذى لن يكونوا فيه ، والمرأة التى لا يعرفونها والزهور المشئومة التى تشبه المجامر فى دين مجهول ، والعمور التى تجعل الإرادة تضطرب والحيوانات المتوحشة والشهوانية التى هى رمز لجنونهم .

وإنه لهذا أيتها الطفلة الملعونة العزيزة المدللة ، أجتو الآن عند قدميك ، باحثا فى شخصك كله عن صدى الأوهية المرعب ، والعرابة المشئومة ، منذرة السوء ، والمرضعة التى تبث سمها لكل متقلبي الأطوار !

أيهما الحقيقية ؟

Laquelle Est La Vraie ?

عرفت راهبة ما ، كانت تملأ الجو بالمثل الأعلى ، كانت عيناها
تنثران الرغبة فى العظمة ، فى الجمال ، فى المجد ، وفى كل ما يبعث على
الاعتقاد فى الخلود .

ولكن هذه الفتاة المعجزة ، كانت أجمل من أن تعيش طويلا ، وقد
ماتت بعد بضعة أيام من تعرفى عليها ، وكنت أنا نفسى من دفنها ، ذات
يوم كان الربيع فيه يحرك مبخرتة حتى فى القبور ، إنه أنا من دفنها
بإحكام فى تابوت من خشب معطر وغير قابل للفساد كئواويس الهند .

وبينما بقيت عيناى مغروستين فى المكان الذى دُفن فيه كنزى ،
رأيت فجأة ، فتاة صغيرة تشبه الفقيدة على نحو غريب ، تدق الأرض
الندية بعنف هستيرى غريب قائلة وهى تنفجر ضاحكة : « إنى أنا
الراهبة الحقيقية ! إنى أنا الوعدة الشهيرة ! وعقابا على حماقتك وعمالك
، ستحببنى كما أنا ! »

ولكنى أجبتها غاضبا : « لا ، لا ، لا » وحتى أوكد رفضى على نحو
أفضل ، ضربت بقدمى الأرض بطريقة بالغة العنف حتى غاصت ساقى
إلى الركبة فى القبر الحديث ، وكذئب وقع فى كمين ، ظللت عالقا ربما
إلى الأبد بحفرة المثل الأعلى !



جواد أصيل

Un Cheval De Race

إنها بالغة القبح ، ولكنها لذيذة مع ذلك .

لقد حفر الزمن والحب بأظافرهما علامات عليها ، وعلمهاها بقسوة ما تودى به كل دقيقة ، وكل قبلة من الشباب والنضارة .

إنها قبيحة حقا ؛ إنها نملة ، عنكبوت إذا شئت ، مجرد هيكل عظمي ، ولكنها أيضا ارتواء ، مهابة ، سحر ، خلاصة القول : إنها رائعة .

لم يستطع الزمن أن يسقط الانسجام الوضيء لمشييتها ولا رشاقة بنيتها غير القابلة للفناء ولم يغير الحب عنوبة نفسها الطفلى ، ولم ينزع الزمن شيئا من شعرها الغزير الذى تنبعث من عطوره الصهباء الحيوية الشيطانية لجنوبى فرنسا : نيم ، إيكس آرل ، أفينيون ، ناربون ، تولوز ، مدن باركتها الشمس ، معشوقات ، ساحرات !

لقد عضها الزمن والحب عبثًا بأسنان قوية ، ولكنها لم ينتقصا شيئا من السحر الغامض ، الأبدى لنهدا الصبياني .

وربما تكون مستهلكة ، ولكنها غير متعبة ، وهى دائما بطولية ، إنها تذكر بالجياد الأصيلة ، هذه الجياد العظيمة التى تتعرف عليها عين عاشقها الحقيقى حتى وهى مشدودة إلى مركبة فاخرة للإيجار ، أو إلى عربة ثقيلة .

وفضلا عن لطفها البالغ ، وتوهجها الرائع ، فإنها ، تحب كما يحب الإنسان فى الخريف ، وكأن اقتراب الشتاء يشعل فيها نارا جديدة ، وأن الخضوع لرقتها ، ليس فيه ما يرهق على الإطلاق .

المِرآة

Le Miroir

دخل رجل مخيف ، ونظر إلى نفسه فى المرآة .

- « لماذا تنظر إلى نفسك فى المرآة حيث إنك لاتستطيع رؤيتها إلا فى كدر ؟ »

أجابنى الرجل المخيف : « سيدى ، طبقا للمبادئ الخالدة لعام ٨٩ فإن كل الناس متساوون فى الحقوق ، وبناء عليه فإنى أملك الحق فى النظر إلى نفسى فى المرآة ، فى سعادة أو فى كدر ، ولايرجع هذا إلا إلى ضميرى . »

باسم التفكير السليم ، كان لى حق دون ريب ، أما من وجهة نظر القانون ، فإنه لم يكن مخطئاً .

الميناء

Le Port

الميناء إقامة ساحرة لروح ترهقها صراعات الحياة ؛ فاتساع السماء والتكوينات المتحركة للسحاب ، وألوان البحر المتغيرة ، وتلاؤم الفنارات هي منشور مناسب على نحو معجز لإمتاع النظر دون إملال مطلقاً ، والأشكال الطليقة للسفن ، بمعدات معقدة تجعل اضطراب الموج ينطبع في اهتزازات منسجمة تساعد على أن تثير في النفس الرغبة في تذوق الإيقاع والجمال .

وفضلا عن ذلك ، خاصة ، فإن هناك نوعاً من اللذة الغامضة والأستقرابية لمن لم يعد يملك كثيراً من الفضول أو الطموح ، ليتأمل راقداً على شرفة السفينة ، متكئاً على حاجز الموج ، كل حركات أولئك المسافرين أو العائدين ، وأولئك الذين ما زالوا يملكون قوة الإرادة، والرغبة في الرحيل ، وفي الثراء .

صور العشيقات

Portraits De Maitresses

فى استراحة للرجال ، أى فى غرفة تدخين ملحقة بناد أنيق للقمار ، كان أربعة رجال يدخنون ويشربون ، ولم يكونوا على وجه التحديد ، شباباً ولا شيوخاً ، وساماً ولا قباحاً ، ولكنهم كانوا شيوخاً وشباباً ، يحملون هذا التميز الذى لا يخفى على المحنكين فى أمور المرح ، وشيئاً لا يمكن وصفه ولا أدرى كنهه ، وذلك الحزن البارد والساخر الذى يقول بوضوح : « لقد عشنا بقوة ، ونحن نبحت عما نستطيع أن نحبه ونقدره » .

وحول أحدهم الحديث إلى موضوع النساء ، وقد كان سيبدو أكثر تفلسفاً لو أنه امتنع عن الحديث كلية ، ولكن هناك من رجال الفكر من لا يتورعون بعد الشرب ، عن المناقشات المبتذلة ، وحينئذ يسمع المرء إلى من يتحدث كما يسمع موسيقا الرقص .

قال هذا الشخص : « كل الرجال مروا بسن الطفولة الملائكية ، وهى الفترة التى يعانق فيها المرء جذع البلوط دون اشمئزاز ، لعدم وجود آلهة الغابات ، وهذه هى الدرجة الأولى للحب ، وفى الدرجة الثانية ، يبدأ المرء فى الاختيار ، ومع بداية التفكير يبدأ التدهور ، وهنا يبدأ بالفعل البحث عن الجمال ، أما بالنسبة لى ، أيها السادة ، فإنى ، فإنى حققت مجداً بوصولى ، منذ وقت طويل ، إلى الفترة الحرجة الخاصة بالدرجة الثالثة ، حيث الجمال نفسه لم يعد يكفى مالم يمتزج بالعطر والحلى .. الخ ، حتى إنى سأعترف أنتى أتطلع أحياناً ، كما يتطلع المرء إلى سعادة مجهولة ، إلى درجة ما رابعة ينبغى أن

تتميز بالهدوء المطلق ، ولكنى ، خلال حياتى كلها فيما عدا فترة الطفولة الملائكية ، كنت أكثر حساسية من الآخرين جميعا للحماسة العصبية ، ولتفاهة النساء المزعجة ؛ فإن أكثر ما أحبه فى الحيوانات هو براعتها ، واحكموا إذن كم كان على أن أقاسى مع عشيقتى الأخيرة .

لقد كانت ابنة غير شرعية لأمير ، وغنى عن القول إنها كانت جميلة ، فبدون الجمال لماذا كنت أخذها ؟ ولكنها أفسدت هذه الصفة العظيمة بطموح غير لائق ومشوه ؛ فقد كانت امرأة تود دائماً أن تكون الرجل . « إنك لست رجلاً ، أه ، لو كنت أنا رجلاً ! منا نحن الاثنين ، أنا الرجل ! » مثل هذه الكلمات التى لا تطاق هى المقاطع المتكررة التى تخرج من هذا الفم الذى لم أكن أرغب إلا فى رؤية الأغانى تتطاير منه ، وفيما يتعلق بكتاب أو قصيدة أو أوبرا أكون قد سمحت لإعجابى بها أن يتسرب كانت تقول على الفور : « لعك تظن أن هذه بالغة الروعة والقوة ؟ ولكن هل تعرف أين أنت من القوة ؟ » ثم كانت تشرع فى المجادلة ، وذات يوم جميل ، تحولت تحولاً جذرياً ، حتى إن قناعاً من الزجاج بدأ منذ ذلك اليوم يتكون بين فمها وفمى ، ومع هذا كله كانت امرأة متزمتة جداً ؛ فإذا دفعته مرة بحركة تنم على الإفراط فى الحب ، كانت تتشنج كامرأة حساسة تم اغتصابها .

وقال أحد الثلاثة الآخرين : « وكيف انتهى هذا ؟ إنى لم أعرفك صبورا إلى هذا الحد » . فاستأنف قائلاً : « إن الله وضع العلاج فى الداء ؛ فقد رأيت هذه المرأة الجميلة العاقلة الجائعة إلى القوة المثلى ، على انفراد مع خادمى فى موقف اضطررنى إلى الانسحاب دون أن يشعرا بى حتى لا أخجلها ، وفى المساء صرفتهما الاثنين مع إعطائهما متأخراتهما » .

وأردف المقاطع : « أما بالنسبة لى ، فليس عندى ما أشكو منه إلا نفسى ، لقد جاء الحظ الطيب ليسكن بيتى ، ولم أتعرف عليه ؛ فقد أنعم علىّ القدر فى هذه الأوقات الأخيرة بالسعادة من امرأة كانت الأكثر لطفًا ، والأكثر طاعة والأكثر إخلاصًا بين المخلوقات ، ودائمًا على استعداد وبلا حماسة ، وكانت إجابتها المعتادة « ليس عندى أى مانع ما دام هذا يسعدك » ، يمكنك أن تضرب بالعصا هذا الحائط ، أو هذه الأريكة حتى تحصل منها على تنهدات أكثر مما تحصل من صدر معشوقتى على بواعث الحب الأشد جموحًا ، وبعد عام من الحياة المشتركة اعترفت لى أنها لم تعرف المتعة مطلقًا ، شعرت بالاشمئزاز من هذا المبارزة غير المتكافئة .. ثم تزوجت هذه الفتاة التى لا تقارن ، وراودتنى الرغبة فى أن أراها ثانية فيما بعد ، فقالت لى مشيرة إلى ستة أطفال وسام : « إيه ، يا صديقى العزيز ما زالت الزوجة عذراء مثلما كانت عشيقتك » ، لم يتغير شيء فى هذه الشخصية .. وأحيانًا كنت أسف عليها ، فقد كان ينبغى على أن أتزوجها .

انفجر الآخرون فى الضحك ، وقال الثالث بدوره : « أيها السادة ، لقد عرفت من المتع ما لعلكم أهملتموه ، أريد أن أتحدث عن الجانب الفكاهى فى الحب ، وهى فكاهة لا تمنع من الإعجاب ، لقد أعجبت بعشيقتى الأخيرة أكثر مما استطعتم على ما أظن ، أن تكرهوا أو تحبوا عشيقاتكم ، وأعجب بها الناس جميعًا بقدر إعجابى بها ؛ فقد كان الجميع ، بعد دقائق من دخولنا إلى مطعم ، ينسون الطعام ليتأملوها ، حتى النُدل أنفسهم والسيدة التى كانت تأخذ الحساب كانوا يشعرون بتلك النشوة المعدية حتى لينسوا واجباتهم . باختصار ، عشت بعض الوقت ، وجها لوجه ، مع ظاهرة حية ، كانت تأكل ، وتمضغ ، وتطحن ، وتلتهم ، وتبتلع ، ولكن بأكثر المظاهر خفة وخلو بال فى العالم ، وقد

استحوذت على هذا طويلا في نشوة ، وكانت لها طريقة جميلة ، حاملة ، إنجليزية وخيالية في قولها : « إني جائعة » ، وكانت تكرر هذه الكلمات نهارا وليلا مبدية أجمل أسنان في الدنيا ، وكان يمكن لهذا أن يثير شفقتك ويسعدك في الوقت نفسه - كنت أستطيع أن أكون ثروتي بعرضها في الأسواق كوحش شديد النهم ، لقد كنت أغذيها جيدا ، ومع ذلك هجرتني ، ، «

- « إلى مورد أغذية دون شك » .

- « شيء قريب من هذا ، موظف ما يعمل في إدارة تموين الجيش ، عن طريق مكسب حرام يعرفه جيدا ، ربما مؤن هذه الطفلة المسكينة بجراية كثير من الجند ، هذا على الأقل ما افترضته » . وقال الرابع :

- « أما أنا فقد تحملت من المعاناة الفظيعة بعكس ما يضيق به المرء عموماً من الأنانية الأنوثية ، لقد وجدتم في حالة سيئة أيها الناس المحظوظون في شكواكم من نقائص عشيقاتكم » .

قيل هذا بنغمة قوية جادة ، من رجل ذى مظهر رزين ، رابط الجأش ، له سحنة تكاد تكون كهنوتية ، يضيؤها لسوء الحظ ، عيانا لهما لون رمادي فاتح ، تقول نظرتهما : « إني أريد » او « إنه ينبغي » أو « إني لا أعفو أبدا » .

- « لو أنكم ، عصبيون كما أعرفكم ، أنت يا (ج) مستهتر وجبان كما أنت ، وأنتما يا (ك) و(ج) ارتبطتم بامرأة ما من معارفى لكنتم هربتم ولكنتم متم ، أما أنا فقد نجوت كما ترون ، تصوروا شخصا لايمكنه أن يرتكب خطأ في العاطفة أو الحساب ، تصوروا سكينه محزنة تميز الطبع ، تضحية بالذات دون فكاهاة ودون تشوق ، عنوية دون ضعف طاقة دون عنف إن قصة حبي تشبه رحلة لاتنتهى على سطح

ناعم ومصقول كالمرآة ، رتيب بصورة تثير الدوار كان يعكس كل عواطفى وحركاتى بدقة ضميرى الساخرة ، حتى إنى لم أستطع السماح لنفسى بحركة او بعاطفة مخالفة للصواب دون أن ألحظ مباشرة اللوم الصامت من قرينى الذى لاينفصل عنى ، كانت حبيبتى تبدو لى كوصية كم من الحماقات منعتنى من ارتكابها حتى إنى أندم على عدم ارتكابها كم من الديون دفععتها بالرغم منى . لقد كانت تحرمنى من كل الفوائد التى كنت أستطيع أن أستمدتها من أخطائى الشخصية ، ويقاعدة باردة لايمكن الفكاك منها ، كانت تعارض كل نزواتى ، وإمعانا فى البشاعة كانت لا تطلب عرفانا بالجميل بعد أن يمضى الخطر ، كم من المرات منعت نفسى من الإمساك بخناقها وأنا أصبح فيها :

-: « كونى ناقصة اذن أيتها البائسة حتى أستطيع أن أحبك دون مكر أو غضب » ، وخلال سنوات كثيرة كنت معجبا بها والقلب مفعم بالحدق ، وأخيراً لست أنا الذى مات ! قال الآخرون :

- « اه ، لقد ماتت إذن ؟ »

- « نعم ، كان هذا لايمكن أن يستمر هكذا لقد صار الحب بالنسبة لى كابوسا مرهقا ، الانتصار أو الموت كما تقول السياسة ، كان هذا البديل الذى فرضه على القدر ، ذات مساء فى غابة ، على حافة بركة ... بعد نزهة كئيبة ، حيث كانت عيناها تعكس عنوبة المساء ، وحيث كان قلبى منقبضا كالجحيم .

- « ماذا ؟ »

- « كيف ؟ »

- « ماذ تريد أن تقول ؟ »

- « كان هذا محتوما ، إن حبي للأنصاف أكبر من أن يسمح لي أن أضرب أو أن أهين أو أصرف خادماً غير مستحق للوم ، ولكن كان ينبغي أن أوازن هذا الإحساس مع البشاعة التي كان هذا الكائن يجعلني أشعر بها ، أن أتخلص من هذا الكائن دون أن أفقد احترامي له ماذا كنتم تريدون مني أن أفعل بها وهي كاملة ؟ » نظر الرفاق الثلاثة الآخرون إلى هذا الشخص نظرة غامضة بها شيء من البلاهة ، كأنهم يتظاهرون بعدم الفهم ، وكأنهم يعترفون ضمناً بأنهم لم يشعروا فيما يخصهم أنهم قادرون على فعلٍ بهذه القسوة ، بالرغم من أن له ما يبرره بدرجة كافية .

وبعد ذلك أحضر بعضهم زجاجات جديدة لقتل الوقت الذي يمضي بقسوة شديدة والإسراع بالحياة التي تمر في بطن شديد .

الرامي البارع

Le Galant Tireur

عندما كانت العربية تعبر الغابة ، أوقفها بجوار ميدان رماية قائلاً
إنه سيكون من الممتع إطلاق بعض الرصاصات لقتل الوقت ، أليس قتل
هذا الوحش مناسبة عادية تماماً ومشروعة تماماً لكل إنسان ؟

ومد يده بلطف إلى امرأته الغالية اللذيذة الكريهة ، إلى تلك المرأة
الغامضة التي يدين لها بكل هذه السعادة وبكل هذا الألم ، وربما بجزء
كبير من عبقريته .

وطاشت كثير من الرصاصات بعيداً عن الهدف المقصود ، حتى إن
إحداها انفرزت في السقف ، ولأن المخلوقة الجميلة أخذت تضحك في
جنون ، ساخرة من عدم براعة زوجها ، استدار هذا نحوها فجأة وقال
لها : « لاحظي هذه الدمية ، هناك ، على اليمين التي ترفع أنفها في
الهواء ، ولها هيئة متشامخة تماماً . إيه .. حسناً ! يا ملاكي الغالي ! ..
إنني أتخيلها أنت » .

وأغمض عينيه ، وضغط على الزناد ، فسقطت الدمية مقطوعة
الرأس تماماً .

حينئذ مال إلى امرأته الغالية اللذيذة الكريهة ، عروس شعره التي
لا مفر منها ، والتي هي غير جديرة بالشفقة ، وقبل يدها بكل احترام ،
وأضاف : « آه يا ملاكي الغالي ، كم أشكرك على براعتي ! »

الحساء والغيوم

La Soupe Et Les Nuages

قدمت لى محبوبتى الصغيرة الطائشة طعام العشاء ، ومن النافذة المفتوحة فى قاعة الطعام ، كنت أتأمل الأشكال المتحركة التى يكونها الله بالأبخرة ، هذه البناءات المعجزة من غير المموس ، وكنت أقول لنفسى فى تأملى : « كل هذه المشاهد الخارقة للطبيعة تكاد تعادل فى جمالها عيون محبوبتى الجميلة ، الصغيرة الطائشة المتوحشة ، ذات العينين الخضراوين . »

وعلى حين غرة ، تلقيت ضربة عنيفة بقبضة يد على ظهرى ، وسمعت صوتا خشنا ساحرا ، صوتا هستيريا كأنه مبحوح بالخمير ، صوت محبوبتى الغالية الصغيرة الذى كان يقول : « ألن تتناول من فورك حساءك ، أيها ... التاجر المقدس للغيوم ! »

ميدان الرماية والجبانة

Le Tir Et Le Cimetiere

« إطلالة على جبانة - استامينه » - " لافتة عجيبة " قال متنزهنا لنفسه : « ولكنها جيدة لتثير فينا العطش » .

بالتأكيد إن صاحب هذا الملهى يعرف قدر « هوراس » والشعراء من تلاميذ « أبيقور » ، وربما كان يعرف فى الوقت نفسه عمق دقة المصريين القدماء الذين لم تكن الولايم لتصبح عندهم طيبة إلا فى وجود مومياء أو أى شعار يدل على قصر الحياة .

ودخل ، وشرب كأسا من الجعة فى مواجهة القبور ، ودخن سيجارا على مهل ، ثم سيطرت عليه نزوة النزول إلى هذه الجبانة التى كان العشب فيها عالياً جداً ، ومستحاً تماماً .

حيث تسود شمس سخية .

ففى الواقع ، كان الضوء والحرارة هناك يثيران السعار ، وكأن الشمس السكرى كانت تتمدد بطولها على بساط من الأزهار البديعة التى كانت تتغذى على الفناء ، وكان الدوى الهائل للحياة - حياة الكائنات المتناهية الصغر يملأ الهواء ، تقطعه على فترات منتظمة طقطة طلقات النار من ميدان رماية مجاور ، كانت تنفجر كسدادات الشمبانيا فى طنين سيمفونية خافتة .

حينئذ ، تحت الشمس التى جعلت رأسه يغلى ، وفى جو العطور المتوهجة للموت ، سمع صوتاً يهمس أسفل القبر حيث يجلس ، وكان الصوت يقول : « ملعونة أهدافكم ، وينادقكم ، أيها الأحياء الصاخبون

الذين لا يهتمون إلا قليلا بالموتى وبراحتهم المقدسة ، ملعونة طموحاتكم ، ملعونة حساباتكم ، أيها البشر الفاقدو الصبر الذين يأتون لتعلم فن القتل حول قدس أقداس الموت ، لو كنتم تعرفون كم هو هين هذا الثمن الذي تحصلون عليه ، وكم هو هين هذا الهدف الذي تبغونه ، وأن كل شيءٍ فانٍ ، ما عدا الموت ، لما كنتم تعبتم إلى هذا الحد ، أيها الأحياء الكادحون ، ولما أزعجتم إلا قليلا نوم هؤلاء الذين منذ زمن طويل ، قد أحرزوا الهدف ، الهدف الوحيد الحقيقي للحياة البغيضة .

فقدان الهالة

Perte D'Aureole

- أحقًا ! أنت هنا ، يا عزيزي ؟ أنت في مكان سيئ ! أنت يا شارب الجواهر ، أنت كل طعام الآلهة ! في الواقع ، إن في هذا ما يدهشني .

- يا عزيزي ، أنت تعرف رعبى من الخيول والعربات ومنذ قليل ، حين كنت أعبّر الشارع الواسع في سرعة فائقة وأنا أقفز في الوحل ، عبر هذه الفوضى المتحركة ، حيث يأتي الموت في عجلة من كل الجهات في الوقت نفسه ، انزلقت هالتي في حركة مفاجئة من فوق رأسي ، في الطين على الطريق المعبد ، ولم أملك الشجاعة على التقاطها ، لقد قدرت أن فقد شارتي أقل سوءًا من تهشم عظامي ، وفضلا عن ذلك ، قلت لنفسي : « رب ضارة نافعة ، فأنا أستطيع الآن أن أتتزه دون أن يتعرف على أحد ، وأقوم بأعمال خسيصة ، وأنغمس في الفسق كالبسطاء من الناس ، وهأنذا أشبهك كما ترى . »

- كان من واجبك على الأقل ، أن تعلن عن هالتك أو تطلب من مفتش الشرطة الإتيان بها .

- أعتقد أنه لا لزوم لذلك ، لقد وجدت نفسي هنا أفضل ، أنت وحدك تعرفت على ، ومن جهة أخرى ، فإن الكرامة تضجرتني ، ثم إنني أفكر بسعادة أن شاعرا ما رديئا سيعثر عليها ، وسيضعها على رأسه في صفاقة ، ويالها من متعة أن تجعل إنسانا سعيدا ، وخاصة إذا كان

هذا السعيد سيجعلنى أضحك ، فكر فى (س) أو (ص) من البشر ،
أليس كذلك ؟ كم سيكون هذا مثيرا للسخرية !

الآنسة بيستورى

Mademoiselle Bistouri

حين وصلت إلى أقصى الضاحية ، تحت أضواء الغاز ، شعرت
بذراع تندس برفق تحت ذراعى ، وسمعت صوتا يهمس فى أذنى : « هل
أنت طبيب يا سيدى ؟ »

نظرتُ : كانت هذه فتاة طويلة ، قوية البنيان ، ذات عينين مفتوحتين
على اتساعهما ، تعلو وجهها حمرة خفيفة ، يتطاير شعرها فى الريح مع
شرائط قبعتها .

- لا ، لست طبيبا ، دعيني أمرّ .

- أوه ، بلى أنت طبيب ، أرى هذا جيدا ، تعال عندى ، ستكون
راضيا عنى تماما ، هيا ! .

- دون شك ، سأذهب لرؤيتك ، ولكن فيما بعد ، بعد الطبيب ،
يا للشيطان ! .

انفجرت ضاحكة وهى ما تزال معلقة بذراعى :

- آه .. آه ؛ إنك طبيب مهذار ، لقد عرفت كثيرين من هذا
النوع ، تعال .

إنى أعشق الغموض فى شغف ، لأنى أتعشم دائما أن أكشفه ،
لهذا تركت نفسى لتسحبني هذه الرفيقة أو بالأحرى هذا اللغز غير
المتوقع .

إنى أغفل وصف الكوخ القذر ، يستطيع المرء أن يجده عند كثير من الشعراء الفرنسيين القدامى المعروفين تماما ، هناك فقط تفصيل لم يلاحظه رينييه (١) ، إنه لوحتان أو ثلاث لأطباء مشاهير كانت معلقة على الحائط .

كم كنت مدلاً : نار عالية ، نبيذ حار ، سيجار ، وعند تقديمها هذه الأشياء الطيبة ، وهى تشعل لى بنفسها سيجارا ، كانت المخلوقة المهرجة تقول :

- تصرف كائك فى بيتك ، يا صديقى ، خذ راحتك ، سيذكرك هذا بالمستشفى ، وبالأوقات الجميلة فى شبابك - أه .. هذا ، .. أين إذن اكتسبت هذا الشعر الأبيض ؟ .. لم تكن هكذا ، ولم يمر على هذا وقت طويل بعد ، عندما كنت طالبا داخليا عند (ل) إنى أذكر أنك كنت مساعدا له فى العمليات الخطيرة ، كان رجلا يحب التقطيع ، والتشذيب والقص ، وكنت أنت من يناوله الأدوات والخيوط والإسفننج ، وعندما تنتهى العملية كان يقول فى تفاخر وهو ينظر إلى ساعته : « خمس دقائق ، يا سادة » أه ، إننى أذهب إلى كل مكان ، وأعرف جيدا هؤلاء السادة .

وبعد بضع لحظات ، رفعت الكفة وخاطبتنى بصيغة المفرد ، مستأنفة لازمتها : « أنت طبيب ، أليس كذلك ، يا قطى ؟ »

(١) ماتوران رينييه Mathuran Regnier (١٥٧٣ - ١٦١٢) : شاعر فرنسى ولد فى شارتر ، وانتظم فى النظام الكنسى وهو فى الحادية عشرة ليناال امتيازات الكنيسة ، كان شاعرا مرحا متوثب الخيال ، ترك ست عشرة قصيدة هجائية ، ترى فيها صورة حية لباريس فى عهد هنرى الرابع ، شبيهه سانت بيث بمونتاني لجراته وبراعته فى الوصف .

هذا المقطع المتكرر غير المفهوم جعلنى أقفز على ساقى صارخا فى غضب : « لا » .

- جراح إذن ؟

- « لا ، لا ، إلا إذا كان هذا لقطع رأسك ! يا كأس القربان المقدس للقديس ماكريل ! » ، واستأنفت قائلة :

- انتظر ، وسترى .

وسحبت من دولابها رزمة ورق ، لم تكن إلا مجموعة من الصور لأطباء مشهورين فى هذا الوقت للرسام موران كان يمكن للمرء أن يراها معروضة خلال سنوات كثيرة على رصيف قولتير .

- إمسك ! أتعرف هذا ؟ .

- نعم هذا (س) الاسم أسفل الصورة ، ولكنى أعرفه شخصيا .

- « كنت أعرف جيدا ، امسك وها هو (ز) الذى كان يقول فى مقرره متحدثا عن (س) : « هذا الوحش الذى يحمل وجهه سواد روحه ! » كل هذا لأن الآخر لم يوافقه على رأيه فى أمر ما ، كم ضحكنا على هذا فى المدرسة فى ذلك الوقت ، أتذكر ؟ امسك ، ها هو (ك) الذى كان يبلغ الحكومة عن الثوار الذين كان يرعاهم فى مستشفى ، وكان هذا خلال القلاقل ، كيف يمكن لمثل هذا الرجل الوسيم أن يملك هذا القدر القليل من العاطفة ؟ وها هو الآن (و) طبيب إنجليزى شهير ، اقتنصته خلال زيارته لباريس ، له مظهر فتاة ، أليس كذلك ؟

وحينما هممت بلمس ربطة محزومة ، موضوعة أيضا على المائدة المستديرة ، قالت لى : « انتظر قليلا ، هؤلاء هم الطلبة الداخليون ، وهذه هى الربطة هم الطلبة الخارجيون » .

ونشرت على شكل مروحة كتلة من الصور الضوئية التي تمثل وجوها أكثر شبابا بكثير .

- عندما نلتقى مرة أخرى ، ستعطينى صورتك ، أليس كذلك يا عزيزى ؟

وكنت أقول لها متابعا بدورى ، أنا أيضا ، فكرتى الثابتة :

- ولكن .. لماذا تظنين أنى طيب ؟

- ذلك أنك رقيق ، وطيب جدا مع النساء

وقلت لنفسى : منطوق غريب .

- أوه ، قلما أخطئ فى هذا الأمر ، لقد عرفت منهم عددا كبيرا ، إنى أحب كثيرا هؤلاء السادة الذين أذهب لرؤيتهم أحيانا مع أنى لا أكون مريضة ، لا لشيء إلا لرؤيتهم ، ومنهم من يقول لى فى برود : « إنك لست مريضة على الإطلاق . » ، ولكن منهم آخرين يفهمونى لأنى كنت أتظاهر أمامهم .

- وعندما لا يفهمونك .. ؟

- بما أننى أزعجتهم بدون داع فقد كنت أترك عشرة فرنكات على المدفأة ، إنهم طيبون ولطفاء هؤلاء الرجال ، لقد اكتشفت فى مستشفى الرحمة ، طالبا داخليا صغيرا ، كان جميلا كملاك ، ومهدبا ، وكان الصبى المسكين يعمل ، وأخبرنى رفاقه أنه لم يكن يملك فلسا ، لأن والديه كانا من الفقراء الذين لا يستطيعون إرسال أى شيء إليه ، وقد منحنى هذا ثقة بنفسى فأنا بعد كل شيء امرأة جميلة إلى حد كبير ، رغم أنى لست شابة تماما ، قلت له : « تعال لرؤيتى ، تعال لرؤيتى كثيرا ، ومعى لا تنزعج ، فأنا لست بحاجة إلى المال ، ولكنك تدرك أنى جعلته

يفهم هذا بطرق كثيرة ، ولم أقل له كل شيء بغلظة ، فقد كنت أخشى كثيراً أن أهينه ، هذا الطفل العزيز - ، هل تصدق أنني كانت تنتابني رغبة غريبة لم أكن أجروء على البوح بها ؟ كنت أريده أن يأتي لرؤيتي بحقيبتة وبمعطفه وحتى ببعض الدم عليه ؟ « قالت هذا بمظهر شديد البراءة كأنها رجل حساس يقول لمثلة فكاهية كان يحبها : « أريد أن أراك مرتدية الرداء الذى كنت تلبسينه فى هذا الدور الذى خلقتة » .

واستأنفت بإصرار :

- هل تستطيعين تذكر الفترة والمناسبة : اللتين تولدت فيهما لديك هذه العاطفة بالغة الخصوصية ؟

وبصعوبة حاولت أن أفهمها ما أعنى ، وأخيراً نجحت فى هذا ، ولكنها حينئذ أجابتني وقد بدا عليها حزن شديد ، حتى إنها على قدر ما أذكر ، أدارت عينيها بعيداً قائلة : « لا أعرف .. لا أتذكر » أى الغرائب لا يجدها المرء فى مدينة كبيرة حين يعرف كيف يتتزه وينظر ؟ فالحياة تغص بوحوش أبرياء .

- يا سيدى ، يا إلهى ، أنت الخالق ، أنت المولى ، أنت الذى خلق القانون والحرية ، وأنت المهيمن الذى يترك الأمور تسير ، وأنت الحكم الذى يعفو ، وأنت الغنى بالدوافع والأسباب ، والذى ربما بث فى روحى الإحساس بالنفور الشديد لتهدى قلبى ، كالشفاء بعد حادث ، يا سيدى كن رحيماً وارحم الحمقى والحمقاوات ، أيها الخالق أيمكن أن توجد وحوش فى عيون ذلك الوحيد الذى يعرف لماذا وجدوا ، وكيف أصبحوا هكذا ، وكيف كان يمكن ألا يصيروا كذلك ؟

أى مكان خارج العالم

Anywhere Out Of The World

N'importe Oú Hors Du Monde

هذه الحياة مستشفى ، كل مريض فيه ممسوس بالرغبة فى تغيير سريره ، يريد هذا أن يقاسى أمام المدفأة ، ويظن ذاك أنه سيشفى بجوار النافذة .

ويبدو لى أنى سأظل دائما بخير ، حيث لا أكون ، وأن مسألة الانتقال هذه هى واحدة من المسائل التى أناقشها مع روحى دون توقف .

- قولى لى ياروحى ، أيتها الروح المسكينة التى خمدت ، ما رأيك فى سكنى لشبونة ؟ لا بد أن الجو حار هناك وستنتعشين فيها كالعظاية ، إن هذه المدينة تقع على شاطئ الماء ، ويقال إنها مشيدة بالمرمر ، وأن شعبها يشعر بالبغض للنبات إلى الدرجة التى يقتلع فيها كل الأشجار ، ها هو منظر يلائم نوبك ، منظر مكون من الضوء والجماد والماء ليعكسه .

إن روحى لا تجيب .

- ما دمت تحبين الراحة إلى هذا الحد مع مشهد الحركة ، أتريدين الذهاب لتسكنى هولندا ، تلك الأرض التى تبعث على السعادة ، فربما ترفهين عن نفسك فى هذا القطر الذى كثيرا ما أعجبت فيه بلوحات المتاحف ، وما رأيك فى روتردام ، أنت التى تحبين غابات الصوارى والسفن المربوطة بالحبال إلى أقدام المنازل ؟

تظل روحى خرساء .

« باقيا (١) قد تبسم لك أكثر

سوف نجد فيها ، من جهة أخرى ، روح أوروبا مقتترنة بالجمال
الاستوائى .

ولا كلمة - أتكون روحى قد ماتت ؟

هل بلغت إذن هذه الدرجة من فتور الهمة حتى إنك لا تسعدين إلا
بما يؤلمك ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فلنهرب إلى البلاد التى هى قرائن
الموت - إنى أتولى أمرك ، يا روحى المسكينة ، وسنحزم حقائبنا إلى
تورنيا ، ولنذهب أبعد من هذا أيضا ، إلى أقصى أطراف البلطيق ، أبعد
من الحياة ، إذا كان هذا ممكنا ، فلننزل فى القطب ، وهناك لا تلمس
الشمس الأرض إلا مائلة ، والتوالى البطىء للضوء ، والليل يمحو
التنوع ، ويزيد نصف العدم هذا من الرتابة ، وهناك سنكون قادرين على
الاستحمام طويلا بالظلمات ، فى حين أنه للترفيه عنا ، سترسل رياح
الفجر الشمالية ، من وقت لآخر ، باقاتها الوردية كأنها انعكاسات ألعاب
الجحيم النارية .

وأخيراً ، تنفجر روحى ، وتصيح بى فى حكمة : « لا يهم أين !
لا يهم أين ! بشرط أن يكون هذا خارج العالم ! » .

(١) هى الآن جزيرة جاوا فى إندونيسيا .

فلنصرع الفقراء

Assommons Les Pauvres

لمدة خمسة عشر يوما ، كنت مسجوناً في غرفتي ومحاطاً بالكتب الرائجة ، في ذلك الوقت (منذ ستة عشر أو سبعة عشر عاماً) أريد أن أتحدث عن الكتب التي تتناول فن جعل الشعوب سعيدة وحكيمة وثرية في أربع وعشرين ساعة ، هضمت إذن أو بالأحرى ابتلعت ، هذيان كل متعهدى السعادة العامة ، هذيان هؤلاء الذين ينصحون الفقراء جميعاً بأن يصيروا عبيداً ، هذيان هؤلاء الذين يقنعونهم بأنهم جميعاً ملوك مخلوعون ، ولن يجد المرء ما يُدهش في دخولي في حالة نفسية قريبة من الدوار والبلادة .

وبدا لي فقط أنني شعرت بجرثومة شاذة لفكرة مسجونة في أعماق فكري أسمى من كل وصفات المرأة العجوز التي كنت أبحث عنها في القاموس مؤخراً ، ولكنها لم تكن إلا فكرة عن فكرة ، شيء ما غامضاً بلا نهاية .

وخرجت وأنا أشعر بعطش عظيم ، لأن الشغف العاطفي بالقراءات الرديئة يولد احتياجاً نسبياً إلى الهواء الطلق ، والمرطبات .

وبينما أنا داخل إلى ملهى ، مدُّ لي شحاذٌ قبعتته بنظرة من تلك النظرات التي لا تُنسى ، والتي قد تقلب العروش إذا كانت الروح تحرك المادة ، وإذا كانت عين المنوم المغناطيسي تنضج الأعناب .

وفي الوقت نفسه ، سمعت صوتاً يهمس في أذني ، صوتاً أعرفه

جيداً ، إنه صوت ملاك طيب ، أو صوت شيطان طيب يصاحبني في كل مكان ، وبما أن سقراط كان له شيطان طيب ، فلماذا لا يكون لي ملاكي الطيب ؟ ولماذا لا يكون لي شرف الحصول ، مثل سقراط ، على شهادة جنوني موقعة من « ليلو » الرائع ومن « بيارجيه » صائب الرأي ؟

وهناك فرق بين شيطان سقراط وشيطاني ، فقد كان شيطان سقراط لا يظهر له إلا للدفاع عنه وتحذيره ومنعه ، أما شيطاني فهو لا يظهر إلا متفضلاً بالنصح والوسوسة والإقناع ، ولم يكن لسقراط المسكين هذا إلا شيطان مانع ، أم شيطاني فهو مثبت ، شيطان أفعال ، أو شيطان صراع .

ولكن ، كان صوته يهمس لي هكذا : « هذا وحده نداءً لآخر من يثبت ذلك ، وهذا وحده أهل الحرية ، من يعرف كيف يغزوها » .

وقفزت في الحال على شحاذي ، بضربة واحدة من قبضتي فسدتُ له عينا ، وصارت بعد ثانية واحدة ، متورمة كالكرة ، وكسرت ظفرا من أظفاري وأنا أكسر له سنتين ، ولأنني لم أشعر بأنني قوى بما فيه الكفاية لكوني ولدتُ ضعيفاً ، ولكوني تمرنت قليلاً على الملائمة لأصرع هذا العجوز بسرعة ، أمسكته بيد من ياقة ملبسه ، وبالأخرى لكمته في صدره ، ورحت أخبط رأسه بعنف في حائط ، يجب أن أعترف أنني فحصت المنطقة من قبل بطرفة عين ، وتحققت من أن هذه الضاحية المهجورة التي وجدت فيها لوقت طويل كاف ، خارج درك أي شرطى .

وبعد ذلك ، ركته بقدم أُطَلِّقَتْ في ظهره ، كانت قوية لدرجة تكفي لت هشيم عظام الكتف ، طرحت هذا الضعيف الستيني أرضاً ، وأمسكت بغصن شجرة ملقى على الأرض ، وضربته بالقوة العنيدة التي يضرب بها الطباخون شرائح اللحم حتى تلين .

وفجأة ! - ياللمعجزة أو يالفرحة الفيلسوف الذي يتحقق من امتياز نظريته ! - رأيت هذا الهيكل العظمى العتيق ، يستدير ويتشامخ فى قوة لم أشك فى وجودها أبداً فى آلة معطلة على هذا النحو ، وبنظرة حقد بدت لى من حسن الطالع - انقض على اللص الهرم وسد لى عيني ، وكسر لى أربع أسنان ، وبغصن الشجرة نفسه ضربنى بعنف ضرباً مبرحاً ، وبعلاجى القوى جعلته يسترد الكرامة والحياة .

وحيئذاك ، أوضحت له بإشارات قوية لأفهمه أننى اعتبرت المناقشة منتهية ، وقلت له متعلقاً برضا سفسطائى رواقى : «سيدى ، أنت ندى لى ، فامنحنى شرف اقتسام ما فى محفظتى معى ، وتذكر إذا كنت محباً للبشر على نحو حقيقى ، أنه ينبغى عليك أن تطبق على جميع زملائك ، حين يطلبون منك صدقة ، النظرية التى تجشمتُ عنها تجربتها على ظهرك » .

فأقسم لى أنه استوعب نظريتى ، وأنه سيتبع نصائحي !

الكلاب الطيبة

Les Bon Chiens

(إلى السيد / جوزيف ستفنس)

لم أخجل أبداً ، حتى أمام الكتاب الشبان فى عصرى ، من إعجابى بـ (بوفون)^(١) ، ولكنى اليوم لن أستدعى روح رسام الطبيعة الفخمة هذا لمعاونتى ، لا .

وأكثر من هذا ، قد أخاطب « ستيرن »^(٢) طواعية ، ولعلى أقول له : « اهبط من السماء ، أو اصعد نحوى فى جنة الشانزليزية لتلهمنى ، لصالح الكلاب الطيبة ، الكلاب المسكينة ، أغنية تليق بك ، أيها المزاح العاطفى ، المزاح الذى لا يقارن .

عد إلى جلستك منفرج الساقين على حمارك الشهير الذى تصطحبه دائماً فى ذاكرة الأجيال التالية ، ولا سيما أن هذا الحمار لا ينسى أن يحمل برقة علته الخالدة معلقة بين مشفرية « .

(١) بوفون Buffon (١٧٠٧ - ١٧٨٨) : عالم طبيعة فرنسى ، كتب مؤلفه الكبير (التاريخ الطبيعى) فى حوالى ٤٠ مجلداً ، ولاقى نجاحاً هائلاً ، كان مشرفاً على حديقة الملك ، واشترك فى إنشاء متحف التاريخ الطبيعى فى باريس ، وهو الذى قال إن (الأسلوب هو الرجل) أمام الأكاديمية الفرنسية بعد أن رشحته لعضويتها .

(٢) لورنس ستيرن (١٧١٣ - ١٧٦٣) : روائى إنجليزى كبير ، تخرج فى كيمبريدج ونال درجة الماجستير رغم تربيته الدينية والعسكرية ، له روايتان شهيرتان تحفلان بالسخرية والذكاء : هما « حياة وأراء تريسترام شاندى ، « و « رحلة عاطفية » .

إلى الوراء يا عروس الشعر الأكاديمية ليس عندي ما أفعله مع هذه العجوز المتزمتة . إنى أستدعى هذه العروس المألوفة ساكنة المدينة ، الحية ، لتساعدنى فى الغناء للكلاب الطيبة ، الكلاب المسكينة ، الكلاب الملطخة بالوحل ، تلك التى يتجنبها الناس ، كأنها موبوءة بالطاعون والقمل ، ما عدا البائس الذى يشاركها حالها ، والشاعر الذى يرمقها بنظرة أخوية .

سحقاً لذلك الكلب الأحمق الوسيم ، ذلك السائر على أربعة ، المزهو بنفسه ، الدنمركى ينطلق فى غير تعقل إلى ساقى الزائر أو ركبته ، كما لو كان واثقاً من إثارته للإعجاب ، مشاغب كطفل أبله ، كفتاة ماجنة ، مشاكس أحياناً ، وقح كخادم ، سحقاً ، ولا سيما لتلك الثعابين ذوات الأرجل الأربعة ، المرتعدة العاطلة ، المسماة بالكلاب السلوقية ، والتى لا تسكن فى أنوفها المدببة حاسة الشم بما يكفى لاتباع آثار خطوات صديق ، ولا فى رؤوسها المسطحة من الذكاء ما يكفى لتلعب الدمينو .

إلى بيت الكلاب كل هذه الطفيليات المرهقة !

فلتعد إلى بيتها الحريرى المبطن ! إنى أعنى الكلب الملطخ بالوحل ، الكلب المسكين ، الكلب الذى بلا مسكن ، الكلب المتسكع ، الكلب المهرج ، الكلب الذى تشحذ الضرورة غريزته على نحو معجز كما تشحذ غريزة الفقير والبوهيمى والممثل الهزلى . الضرورة ، تلك الأم بالغة الطيبة ، الراعية الحقيقية للذكاء .

إنى أعنى الكلاب التى دهمتها الفجيعة ، سواء أكانت تلك التى تتجول وحيدة عند مصبات المياه المنحدرة فى المدن الهائلة ، أم تلك التى كانت تقول بعيونها الطارفة الذكية للرجل المنعزل : « خذنى معك ، ومن يؤسنا معاً قد نصنع نوعاً من السعادة ! »

« أين تذهب الكلاب ؟ » .

تساعل قديما نستور روكيبلان في إحدى مقالاته الصحفية الخالدة التي قد نُسيتُ بلا ريب ، ولم يذكرها أحد إلا أنا وحدي ، وربما سانت بيف ، حتى يومنا هذا .

أين تذهب الكلاب ؟ تتساءلون أيها الرجال قليلو الانتباه ؟ إنها تذهب لشنئونها .

موعد لشنئونها ، وموعد للحب ، عبر الضباب ، عبر الثلج ، عبر الوحل ، تحت القيظ الحارق ، تحت المطر المتدفق ، تذهب ، وتجيء ، وتعدو ، وتمر تحت العربيات ، تثيرها البراغيث والشهوة ، والحاجة أو الواجب ، مثلنا تصحو في الصباح الباكر وتبحث عن رزقها ، أوتجرى إلى لذاتها .

منها ما ينام في خربةٍ في الضاحية ، ومن يحضر كل يوم في ساعة محددة ، يطلب الهبة عند باب مطبخ في الباليه رويال ، وأخرى تسارع في جماعات إلى أكثر من خمسة فراسخ لتقتسم الوجبة التي يعدّها إحسان بعض العذارى الستينيات ، ليست قلوبهن مشغولة فتوهب للحيوانات ، لأن الرجال البلهاء لم يعودوا يريدونها .

وأخرى ، مثل الكستناء السوداء ، خبلها الحب ، تهجر منطقتها في أيام معينة ، لتحضر إلى المدينة ، تتقافز ، خلال ساعة ، حول كلبة حسناء ، تهمل زينتها قليلا ، ولكنها فخورة ، ومعترفة بالجميل .

وهي جميعا منضبطة تماما ، دون بطاقات ، ولا دفاتر مواعيد ولا محافظ أوراق .

هل تعرفون البلجيكية الكسول ؟ وهل تعجبون مثلى بتلك الكلاب القوية المشدودة إلى عربة الجزار ، وعربة اللبان أو عربة الخباز ، والتي تدل بنباحها المنتصر على السعادة المزهوة التي تشعر بها ، وهي تنافس الخيول ؟

ها هما اثنان منها ينتسبان إلى نظام هنا زال أكثر تحضراً ، اسمحوا لى أن أدخلكم إلى غرفة مهرج غائب : سرير من خشب مدهون، بدون ستائر ، أغطية مفروشة ومتسخة بالبق ، ومقعدان من القش ، وموقد من الحديد المسبوك ، آلة أو آلتان لموسيقىتان خريتان ، أه يا للأمتعة الحزينة ، ولكن انظروا أرجوكم إلى هاتين الشخصيتين الذكيتين يرتديان ملابس متهدلة وباذخة فى الوقت نفسه بقصة شعر كالشعراء الجوالين ، أو العسكريين الذين يراقبون بانتباه السحرة عملاً بلا اسم ينضج بهدوء على الموقد المشتعل ، وفى وسطه مغرفة طويلة تنتصب مزروعة كأنها سارية هوائية ، تعلن أن البناء قد انتهى .

أليس عدلاً أن هؤلاء الممثلين الهزليين ، بالغى الحماسة لا يشرعون فى السير بدون أن يثقلوا معداتهم بحساء قوى ودسم ؟ وهلا تسمحون بقليل من الحسية لهؤلاء الشياطين الفقراء الذين يواجهون طوال اليوم عدم اكتراث الجمهور وإهانات المدير الذى يأخذ لنفسه القسم الأكبر ويتناول وحده من الحساء أكثر من أربعة ممثلين ؟

كم من مرة تأملت مبتسماً ومشفقاً كل هؤلاء الفلاسفة ذوى الأرجل الأربعة ، العبيد المتساهلين الخاضعين ، أو المخلصين ، الذين كان يمكن للقاموس الجمهورى أن يصفهم جيداً بأنهم مستخدمون شبه رسميين ، إذا كانت الجمهورية تهتم كثيراً بسعادة البشر ، وكان لديها الوقت لتصون شرف الكلاب .

كم من مرة فكرت أنه ربما توجد جهة ما (من يدري بعد كل شيء ؟) لتكافئ هذا القدر من الشجاعة ، وهذا القدر من الصبر ، وهذا القدر من الجهد ، فردوس خاص للكلاب الطيبة ، الكلاب المسكينة ، الكلاب المملوطة بالوحل والحزينة ، إن سويدنبرج يؤكد تماما أن هناك واحداً للترك وواحداً للهولنديين .

كان رعاة فيرجيل وثيوقريط ينتظرون ثمنا لأغانيتهم المتبادلة ، جينا جيدا ، مزمارا من أجود صانع ، أو عنزة منتفخة الضروع ، وقد تلقى الشاعر الذي تغنى بالكلاب صدارا جميلا بوصفه مكافأة ذا لون غنى وحائل في الوقت نفسه ، جعله يفكر في شמוש الخريف ، وفي جمال النساء الناضجات ، وفي أصياف جزيرة سان مارتان .

ولن ينسى أحد من أولئك الذين كانوا حاضرين في حانة شارع فيلا هيرموزا بأي توثب خلع الرسام صداره لصالح الشاعر ، إلى هذا الحد قد فهم جيدا كم كان طيبا وأميناً في غنائهِ للكلاب المسكينة .

وكذلك منح طاغية إيطالي عظيم في العصور القديمة لأريتان المقدس إما خنجرا مطعما بالأحجار الكريمة ، أو معطفا للبلاط ، في مقابل سوناتة قيمة أو قصيدة ساخرة عجيبة .

وفي كل المرات التي لبس فيها الشاعر صدار الرسام كان يتعين عليه أن يفكر في الكلاب الطيبة ، والكلاب الفلاسفة ، وفي أصياف سان مارتان ، وفي جمال النساء الناضجات تماما !

مختتم *

Epilogue

القلب راضٍ ، فلقد صعدت الجبل
حيث يمكن تأمل المدينة في اتساعها
المستشفى ، والمبغى ، والمطهر ، والجحيم ، والسجن

حيث تتفتح الفحشاء كلها كما تتفتح الزهرة
تعرف جيدا أيها الشيطان ، يا راعى محنتى
أنى لم أذهب إلى هناك لأسفح دمة سدى

ولكن كعاشق فاسق قديم لعشيقة عجوز
كنت أود أن أسكر من الغانية الهائلة
التي يعيدنى سحرها الجهنمى إلى الشباب دوغما انتهاء

وسواء أكنت تنامين حتى الآن فى ملاءات الصباح
ثقيلة ، غامضة ، مزكومة أم تختالين كبرا

* آخر قصيدة موزونة مقفاة كتبها بودلير .

فى أوشحة المساء المزينة بالذهب الخالص
فإنى أحبك أيتها العاصمة سيئة السمعة !
أيتها المحظيات ، أيها اللصوص ، هكذا غالبا ما تقدمون
الملاذات
التي لا يفهمها الدنيويون المتذلون !

مقدمة المحقق *

دخل بودلير هذه القصائد النثرية كما يدخل غابة مجهولة عذراء ، تقريبا ، مليئة بالأشراك والمخاوف والأخطار ، بقدر ما هي خلافة ، فإذا كان ينقصه أن تكون الأخطار مرئية ومحددة ، فإن الشاعر لم يسقط في حيرة ، بل على العكس ، تسليح ليهزمها ويتغلب عليها - لأن فشله ، دون شك ، في التعرف عليها بوضوح تام أحاطه علما بوجودها .

وربما لم يلاحظ القارئ لصالون ١٨٥٩ هذا التأمل على حدة ملقى في مقال له عن لوحة : « خطيرة مثل الشعر النثري » ، ولم يكن حتى إرهاباً بمشروع العمل ، بل على العكس ، فقد مرت سنتان على الأقل كانت فيهما خطة قصيدة النثر ، على قدر العمل إجمالاً قد تحققت وأخذت صيغتها (حتى لو سلم المرء بأن بودلير لم يعد أوليات هذه القصائد إلا تدريبات منفصلة) وإذن ، يعرف المرء فيم يفكر الشاعر ، وفي ما إذا كان قد شعر بالحاجة إلى التفكير هكذا بصوت عال : ربما ليعطي نفسه إشارة ، وربما ليطمئن نفسه بخصوص بعض القراء الذين قد يستمعون إليه بالصدفة ، وهو حتى يكررها : « خطيرة كالحرية المطلقة » وتجد الكلمة صدى فيما قيل عن القصائد النثرية ، إنها كانت « بداية مطلقة » (١) .

* المحقق إيف فلورين : كاتب مسرحي ، له عدد من الأعمال المسرحية : فارس الذهب ، ودم الأرض ، وأنتيجون . اقتبس مسرحيات عن شكسبير ، وكتب بعض الروايات والقصص القصيرة ، ولأنه المحرر الأدبي لجريدة « الموند » فقد نشر عددا كبيرا من الدراسات النقدية ، وخاصة عن بودلير ، وحقق أعماله الكاملة التي صدرت عام ١٩٧٢ عن المكتبة الفرنسية العامة . سلسلة « كتاب الجيب » .

(١) إشارة إلى ما قاله جورج بلان G. Blin ، في مقدمة أحد كتبه من أن « سأم باريس » كان بداية مطلقة ، وليس تقليدا لألوزيوس لبيرتيران .

ويتجاوب مع كلمة بودلير نفسها عن « التصوير المطلق » ، فهل يكون « الشعر الخارق » لأنه ثمرة الحرية المطلقة هو أيضا الشعر المطلق ؟

ولكن هذه المطلقات جميعا لها نسبيتها ، وبإحدى ذى بدء ، ما الحرية المطلقة ؟ إذا كانت هي الحرية فى ألا يستخرج قواعد إلا من ذاته ، فهى حرية جيدة لشاعر النثر .

وهذا هو بالضبط الخطر الأساسى الذى لاحظته ، إنه فقط فى نوع من التنوير الدائم والمعصومية من الخطأ فيما ينبغى الإيمان به « ولكن التنوير الدائم والمعصومية من الخطأ هما الشعر نفسه ، بعد كل شىء » من أن هذه القواعد ستجد مصدرها ، أو بالأحرى ، هذه القاعدة بالمعنى المتكشف ، مسيطرة ، خفية ، غير معبر عنها ، وذات صرامة هى نفسها « مطلقة » .

جاءت هذه القاعدة من ذاتها ، وليس إلا من ذاتها ، لا يعرفها أحد مقدما ، ولا يتعرف عليها أحد بالتالى ، وهذا هو كل الشعر المستنكر ، لا يهم حقا ، ما دام يكفى أنه موجود ، ولكن بناء على ما تقدم ، وفى كل خطوة من مسعاها الذى لا يعتمد على شىء ، ألن يكون الشاعر ممزقا بالشكوك ؟ بقدر التجارب والمرض ، ونضوب الموهبة الخالقة ، هذا التمزق الذى يجعل من كتابة قصائد النثر نوعا من الجلجلة (١) .

لقد تكونت هذه القصائد عند بودلير بوصفها أشباها لأزهار الشر ، بهذه الكلمة التى يكررها بإلحاح ، يعبر عن خطته على نحو طبيعى ، عن فكرته فى قياس جمالى ، ولا ينبغى أن نخطئ فى ما يمكن أن

(١) كلمة عبرية تعنى المحنة أو عذاب الصلب ، وهى اسم الجبل الذى صلب عليه السيد المسيح .

تعمله لنا هذه الأشباه **Pendants** أعلى قليلا من البندول ، فلا نرى فيها ما رآه سانت - بييف في عمياه العميق أمام بودليير ، إذا رأى فيها (« كُشْكًا » ثانياً أضيف إلى الأول على حافة كامتشاتكا^(١) رومانسية) وليس حتى سرادقين من فن الباروك ، أو جناحين في صرح ليس له جسم مركزي ، من جهة أخرى ، إن فكرة التناسق **Symetrie** هي فكرة سطحية ، إذ يوجد تحتها فكرة التوازن ، وفكرة المعارضة ، وإذا شئنا فكرة الثورة ، وبعلاقة (هذا الديوان) بأزهار الشر فهو نورة كاملة ، انقلاب كامل ، « أفكار جديدة » ، « رعشة جديدة »^(٢) ، مشاعر جديدة في نظام قديم : ذلك هو أزهار الشر .

وفي اللحظة نفسها التي ينجز فيها كتابه ، يريد الشاعر أن يفتح طريقاً آخر غير مكتشف ، ويعطى للتعبير الشعري شكلاً جديداً ، أو بالأحرى ، يبتكر شعراً آخر ، يقوم فيه مع ذلك بتجربة « التراسل » مع نفسه ، باسترجاعه موضوعاته العظيمة في طريقة غير مألوفة ، ممتزجة بتجسيده لنغمات تتسلط عليه في توافق الحروف الصائتة ، أو الكلمات محذوفة الحروف في نشاز قاس .

وعن خطته ، يشرح نفسه بوضوح ، متظاهراً بتقليل أهمية مزية التنفيذ خصوصاً ، وحتى مزية الابتكار عندما يتحدث عنهما إلى الآخرين ، بتواضع طقوسى من مقدمات وإهداءات ، وكذلك بعاطفة أكثر حدة ، وأكثر إيلاماً ، حيث يختلط الشك بالفخر المشروع ، وهكذا بعد تقديم نفسه بوصفه مقلداً ، وحتى معارضا ، يسلم بكونه « هو نفسه » .

(١) شبه جزيرة بركانية في أقصى شرق روسيا بين بحر بهرنج وبحر أوكتسك .

(٢) إشارة إلى الرسالة التي بعث بها فيكتور هوجو إلى بودليير في أكتوبر ١٨٥٩ يقول فيها : « إنك أحدثت في الشعر الفرنسى رعشة جديدة » .

هو نفسه ، بمعنى أنه شاعر « أزهار الشر » يسعى إلى لغة أخرى ، وأنه من هذه « الهو نفسه » الأولى يسافر نحو الانطلاق إلى الأخرى التي هي مرئية بعين الحدس والرغبة ، أكثر مما هي معروفة من قبل ومحددة ، والأشباه التي تتراعى له أكثر ، هي بوضوح تلك القصائد التي فيها أعيدت كتابة قصائد من أزهار الشر ، في لغة هذا النثر الفريد ، والتي تعاد بعناوينها وألحانها الدالة Leitmotivs بينما تسرى فيها المفارقة ، لأنه إذا كانت « نصف العالم في جديلة » هي إجابة (للشعر) وبسطاً لطلقاتها الواسعة في آيات ، فإن « الدعوة إلى الرحيل » تقدم ما لا يعرف المرء من خفاء مقلد ، أو ساخر ، ونهم عنيف للنعيم ، حتى تلك القصة العاطفية عن الحبيبة ، من الواضح أنها جاءت إلى بودلير من جوته ، ولكن حيث يدير لنا أسطوانة بموسيقا أمبرواز توماس ، وعلاوة على ذلك ، فإن الأشباه ، عندما تصبح أقل وضوحاً ، تصبح أكثر تميزاً .

إن أخطار هذا النثر الشعري ، ولو أنه كان على علم بها ، (ليس دون معرفة ، على كل حال ، بأن هذه القصائد التثرية كانت شيئاً آخر غير النثر الشعري الذي هو ليس جديداً على الإطلاق) فإن بودلير بالتأكيد لم يسلم منها دائماً ، والقارئ يشعر أن هذه القصائد هي قصائد لا أكثر ولا أقل ، وتبدو لنا القصائد « الخالصة » هي الأكثر جمالا ، أو هي تقريباً خالصة ، لأن بودلير في تقدمه في « العملية السحرية » يعد جرعات رائعة ، حيث يلمع النثر - النثر على نحو عدواني ، وغالباً ما يعطى هجوم العبارة نغمتها : « غرفة تشبه حلم اليقظة » - « دعيني أتنفس طويلاً طويلاً رائحة شعرك » - « يسقط النهار ويتنزل سكون عميق .. » - « ترهق الشمس المدينة بضوئها المستقيم والمرعب » - ها هو ذا في القصائد الخالصة ، حيث النثر غني ومتعدد ، يتبع إيقاعاً محسوساً ، موزعاً أحياناً في « آيات » متساوية ،

كمقاطع شعرية ، وهو يصل حتى إلى إيقاع شعري منظوم (نادرا جدا لأن الشاعر حذر) على البحر الإسكندري ، مستثنى من القاعدة ومنطلق :

Resplendir L'infini de l'azur tropical

تتلاً لا نهائية اللزورد الاستوائى

بل إلى نظم خفيف طليق ، شديد التائق :

Elle est bien laide

Elle est delicieuse pourtant

إنها بالغة القبح ، وهى لذيذة مع ذلك

أو هذا « فى الرغبة فى الرسم » الذى كان يذكر المرء طواعية بأزهار الشر .

**Ettoutce qu'elle inspire
est nocturne et profond**

وكل ما تلهمه ليلى وعميق

ولكن ، أهى « خالصة » هذه القصائد ؟ - دون شك ، لأنها تشبه القصائد المنظومة كثيرا ، ومن هنا أصابها عدم النقاء ، ولأنها كان يمكن أن تتخذ أشكالها النثرية مؤقتا حتى توضع فى نظم ، وهذا خطر ضمن أخطار أخرى أدركها بودليير بسرعة ، وأشار إليه حتى لا يغامر أحد بالوقوع فيه ، وفى الواقع ، إذا كانت أربع قصائد من « الأزهار » لها أشباه فى « السأم » فإن ثلاثاً من هذه لواحق لتلك بالتأكيد : إذن قد كان ينبغى الحديث ، على العكس تماما ، عن قصائد « فكُّ عنها النظم » ولكم الخطر دون شك لا يكون أخف ، سينزع الشاعر نفسه منها ، فليس ينبغى عليه

البقاء في السفن القديمة ، لتستوعب نبیذه المر ، فإن جهد تحطيمها وشحنها ، والعمل ، أمور مفهومة ، وأحياناً تكون كثيرة شيئاً ما ، وحتى لا يغامر بمعاودة السقوط في الأوزان التي كان دائماً يقيس بها إلهامه ، يبحث عن تكسيرها ، فيسقط في الهفوة التي عانى ألم مغامرتها في أزهار الشر ، وأخيراً فإن الحروف الصائتة والجناس الاستهلاكي يميزان بإلحاح الصفة الشعرية لهذا النثر ، وهنا أيضاً تكون الهجمة كاشفة ، ولكنها تعطى النغمة المضادة : « ينظر الصينيون إلى الساعة في عيون القطط » هكذا تبدأ قصيدة « ساعة الحائط » كخيال مسكر مستمد من كتاب « الإمبراطورية الصينية » للأب « هول » فيما يتعلق بالشارع والفنان ، ولكنها تنتهي بغزلية متطاولة ، والقصيدة في داخلها .

« يقول فيفينارج » هذا مطلع متكلف ومتعالم^(١) قليلاً ، ومع ذلك فقصيدة « الأرامل » واحدة من أكثر قصائد الديوان جمالا ، بعد قطعة « العجائز القصيرة » الجديدة ، فإن المرأة العظيمة الحزينة والرائعة في نهاية القصيدة ، هي لوحة ديلاكروا « الأرملة العظيمة المكتئبة أمام حديقة مزار » ولكن القصيدة ليست كلها حول فكرتها .

وكثيراً ما يحدث أيضاً أن يكون الهجوم متعمداً في نثر : نثر الصحافة المتدفق ، نثر المؤتمر والمحاضرة : « لم أخجل مطلقاً حتى أمام الكتاب الشبان في عصرى من إعجابى بـ (بوفون) » أو « صحفى محب للبشر .. » إلخ .. أو نثر القصة في « استراحة للرجال .. » أو « كان فانسيول مهرجاً جديراً بالإعجاب » بل هو نثر عن طيب خاطر وبسيط تقريبا : « عندما كنا نبتعد عن متجر تبغ .. » أو « حقا ،

(١) كان الناقد لم يسمع بالتناص .

ياعزيزتى ، إنك ترهقيني .. » ، والمفتاح هنا مثلما هو فى القصائد « الخاصة » يفتح القطعة تماما ، كانت هذه القصائد ، أو لم تكن إلا مسرحيات أخلاقية أو مسرحيات المغفلين^(١) Sotties أو أحيانا : موت بطولى - أيهما الحقيقية ؟ - هى قصص غير عادية^(٢) وأخيرا الصواريخ مفارقة « فقدان الهالة » - أليست هى خجل الهلوسة التى يمكن ملاحظتها فى « صواريخ » ؟ - أو مقتطفات من اعتراف كفلتات مع اختلاجات « قلبى^(٣) عاريا » واستحوذا فكرة العواصم الكبرى على فكرة بكثرة ، وتمجيده للآخرين المألوفين لدينا ، ولكنه تناولهم بدقة غريبة وفى أسلوب مهذب رهيف ، وكذلك الأنسة بيستورى ، وعلى نحو أكثر تلميحا وعلى شكل أمثلة ، صناعة سكاكين الشيطان - إيروس فى الغوايات هى إقرار بالقسوة ، صريح أيضا ودون أى تزيين جمالى ، وهذا هو الوجه الآخر المقلق « لعملية الحب الجراحية » و « تمزق الحب » مدفوعا به إلى درجة التحليل والتشريح ، و « الوحش البريء » حلم الدم ، بينما « أنا » الضحية والجلاد والشاهد يداعبة دون أن يعترف له برغبة قطع رأسه كما فى قصيدة « شهيدة » .

هذه التعرية للذات التى كان يمكن أن تكون فى هذه القصائد ، الأكثر اكتمالا ، والأكثر عمقا ، مزدوجة ، ومفهومة جيدا ، وطوعية ، ولكنها لا واعية أيضا .

(١) نوع من المسرحيات القصيرة الهزلية ، تتخذ من الأحداث والشخصيات السياسية والدينية المعاصرة موضوعا لها ، ويلبس فيها الممثلون أزياء مثيرة للضحك كالقبعة الصغيرة والبدلة القصيرة والأجراس المثبتة فى الأرجل .

(٢) ترجم بودلير قصصا لإدجار ألان بو تحت عنوان « قصص غير عادية » ونشرها فى جزأين .

(٣) فى أوراق بودلير التى خلفها بعد موته ، وجدت مسودات لكتابين هما : صواريخ ، وقلبي عاريا .

إن « سأم باريس » - على كل حال - يتميز بعلامة الازواج وكان يمكن أن يمثل لعيوننا مع « أزهار الشر » الغرفة المزدوجة للشاعر ، ولكن هذا سيكون تزييفاً للحقيقة التي هي في حد ذاتها مزدوجة بتبسيطها ، هنا غرفة الحقيقة ، وهناك غرفة أحلام اليقظة ، الغرفة الروحية ، لا بالطبع ، لأن « سأم باريس » وحده ، غرفة مزدوجة ، فالعنوان الأول الذي كان بودلير قد أعطاه للقصيدة الثامنة والعشرين « المثال والواقع »^(١) أكثر توضيحاً ، ولكن هذا الواقع هو « فوق واقعي » سيربالي ، فالواقع في الغرفة المزدوجة واقع الحياة التي لاتطاق أو واقع الزمن القبيح ، هو واقع شبهي ، فبين جنة الحلم والكابوس لا يوجد شيء والمدينة والحياة - حيث يتحرك هذا المتجول الليلي - حلما يمر فيهما هو نفسه كظل لا يراه الآخرون ، وهو ينظر إليهم عند عبوره .

وهذه الرحلات التي يقوم بها على نحو غامض إلى بلاد غامضة هي أكثر من مجرد رحلات خيالية كالشخصيات التي يقابلها المرء هناك ، والمغامرات التي تجدها « الأنا » هناك ، هي مثل « الأنا » نفسها ، لها كل صفات الحلم .

لعله لا يوجد في الإنتاج البودليري ، ما هو أكثر من « سأم باريس » في عدم خضوعه للمسلمة المزدوجة « الله - الشيطان » في هذه الحركة الدائمة بين السامي والوضيع ، ومن أجل اقتسام منتصف الليل حيث تجد الروح وحدة غريبة في التنازع بين الخير والشر ، وكذلك يكون « سأم باريس » كله مخترقاً بما لا يجرؤ المرء على تسميته بالترددات بين الأطراف البعيدة لكونها متزامنة ، فالعزلة « لاتشفى » أمام إغواءات الجمهور الإنساني ومحاولات الإحسان فالمرأة جحيم ، والمرأة فريوس .

(١) عنوانها الحالي : العملة الزائفة .

ومن بين كل الموضوعات البودليزية التي تعود للظهور هنا وتتقاطع ، واحد من أكثرها كشافا ، إنه موضوع الزجاج ، وهو فاصل في الوقت نفسه لجانب ، وفاتحة لجانب آخر ، فحين يكون الزجاج سحريا يكون بائع الزجاج قد عرف كيف يضع الزجاج الملون .

وهذا تزويد بوهم الواقع أقل منه تحويلا له لخلق واقع آخر ، ولكن الغرفة المزدوجة ليس لها نوافذ ، إنها تفرز ضوءها الخاص ، إنها غرفة المرايا ، ألا تكفيها مرأتان لتفتح لا متناهايا مزدوجا ؟ ينتصر فيه « العبد الشهيد للزمن » على جلاده في ميناء ساعة الحائط « إنها الأبدية ! »

هناك إجابتان على الأقل للأسئلة التي تطرحها القصائد الليلية ، فالروح التي صممت طويلا ، وقد دعيت للرحيل من مناخ إلى مناخ ، تصرخ أخيراً « لايهم أين ، خارج العالم » فهذا المكان حقا هو الغرفة المزدوجة ، ولكن المعبودة الفريدة التي تجلس على عرشها تكرر بلا انتهاء مع لهب الشموع وجهها المتكاثر من مرآة على مرآة ، إنها تخلع قناعها اللحمي أخيراً ، وتظهر في عريها الكامل ، إنها فقط :

« كل شيء فانٍ ما عدا الموت ! »

إيف فلورين

الفهرس

5	مقدمة المترجم
11	إلى أرسين هوساي
13	١ - الغريب
15	٢ - يأس العجوز
17	٣ - اعتراف الفنان
19	٤ - متكلف الظرف
21	٥ - الغرفة المزنوجة
25	٦ - لكلٍ وحشه الخرافي
27	٧ - المجنون وفينوس
29	٨ - الكلب والقارورة
31	٩ - البائع السبيء للزجاج
35	١٠ - في الساعة الواحدة صباحاً
37	١١ - الزوجة المتوحشة والعشيقة الشابة
41	١٢ - الجماهير
43	١٣ - الأرامل
47	١٤ - المهرج العجوز
51	١٥ - الحلوى

55	١٦ - ساعة الحائط
57	١٧ - نصف العالم فى جديلة
59	١٨ - الدعوة إلى الرحيل
63	١٩ - لعبة الفقير
65	٢٠ - هبات الجنيات
69	٢١ - الغوايات أو إيروس بلوتوس والمجد
75	٢٢ - الفسق
77	٢٣ - العزلة
79	٢٤ - المشروعات
81	٢٥ - دوروثى الجميلة
83	٢٦ - عيون الفقراء
85	٢٧ - موت بطولى
91	٢٨ - العملة الزائفة
93	٢٩ - اللاعب الكريم
97	٣٠ - الحبل
101	٣١ - الدعوات
107	٣٢ - الصولجان
109	٣٣ - اسكروا
111	٣٤ - هكذا سريعاً

113	٣٥ - النوافذ
115	٣٦ - الرغبة فى الرسم
117	٣٧ - أفضل القمر
119	٣٨ - أيهما الحقيقية ؟
121	٣٩ - جواد أصيل
123	٤٠ - المرأة
125	٤١ - الميناء
127	٤٢ - صور العشيقات
133	٤٣ - الرامى البارح
135	٤٤ - الحساء والغيوم
137	٤٥ - ميدان الرماية والجبانة
139	٤٦ - فقدان الهالة
141	٤٧ - الأنسة بيستورى
147	٤٨ - أى مكان خارج العالم
149	٤٩ - فلنصرع الفقراء
153	٥٠ - الكلاب الطيبة
159	٥١ - مختتم
161	مقدمة المحقق

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالمين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

ت : أحمد درويش	جون كوين	١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)
ت : أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	٢ - الوثنية والإسلام
ت : شوقي جلال	جورج جيمس	٣ - التراث المسروق
ت : أحمد الحضري	انجا كاريتنكوفا	٤ - كيف تتم كتابة السيناريو
ت : محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	٥ - ثريا فى غيبوبة
ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد	ميلكا إفيش	٦ - اتجاهات البحث اللساني
ت : يوسف الأنطكي	لوسيان غولدمان	٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة
ت : مصطفى ماهر	ماكس فريش	٨ - مشعلو الحرائق
ت : محمود محمد عاشور	أندرو س. جودي	٩ - التغيرات البيئية
ت : محمد معصم وعبد الجليل الأزني وعمر حلي	جيرار جينيت	١٠ - خطاب الحكاية
ت : هناء عبد الفتاح	فيسوفا شيمبوريسكا	١١ - مختارات
ت : أحمد محمود	ديفيد براونستون وايرين فرانك	١٢ - طريق الحرير
ت : عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	١٣ - ديانة الساميين
ت : حسن المودن	جان بيلمان نويل	١٤ - التحليل النفسي والأدب
ت : أشرف رفيق عفيفي	إدوارد لويس سميث	١٥ - الحركات الفنية
ت : بإشراف / أحمد عثمان	مارتن برنال	١٦ - أثينة السوداء
ت : محمد مصطفى بدوي	فيليب لاركين	١٧ - مختارات
ت : طلعت شاهين	مختارات	١٨ - الشعر النسائي فى أمريكا اللاتينية
ت : نعيم عطية	جورج سفيريس	١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة
ت: يمنى طريف الخولى / بدوي عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	٢٠ - قصة العلم
ت : ماجدة العناني	صمد بهرنجى	٢١ - خوخة وألف خوخة
ت : سيد أحمد على الناصري	جون أنتيس	٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين
ت : سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	٢٣ - تجلى الجميل
ت : بكر عباس	باتريك بارندر	٢٤ - ظلال المستقبل
ت : إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	٢٥ - مثنوى
ت : أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	٢٦ - دين مصر العام
ت : نخبة	مقالات	٢٧ - التنوع البشرى الخلاق
ت : منى أبو سنه	جون لوك	٢٨ - رسالة فى التسامح
ت : بدر الديب	جيمس ب. كارس	٢٩ - الموت والوجود
ت : أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)
ت : عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب علوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
ت : مصطفى إبراهيم فهمي	ديفيد روس	٣٢ - الانقراض
ت : أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هويكنز	٣٣ - التاريخ الإقتصادى لإفريقيا الغربية
ت : حصة إبراهيم المنيف	روجر آلن	٣٤ - الرواية العربية
ت : خليل كلفت	بول . ب . بيكسون	٣٥ - الأسطورة والحدائق

- ٢٦ - نظريات السرد الحديثة والاس مارتن
٢٧ - واحة سيوة وموسيقاها بريجيت شيفر
٢٨ - نقد الحداثة آلن تورين
٢٩ - الإغريق والحسد بيتر والكوت
٤٠ - قصائد حب آن سكستون
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية بيتر جران
٤٢ - عالم ماك بنجامين بارير
٤٣ - اللهب المزوج أوكتافيو پاث
٤٤ - بعد عدة أصياف ألدوس هكسلي
٤٥ - التراث المغفور روبرت ج نيا - جون ف أ فاين
٤٦ - عشرون قصيدة حب بابلو نيرودا
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١) رينيه ويليك
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية فرانسوا روما
٤٩ - الإسلام في اليلقان ه . ت . نوريس
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير جمال الدين بن الشيخ
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستي
٥٢ - العلاج النفسي التدميمي بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل
٥٣ - الدراما والتعليم أ . ف . ألنجتون
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح ج . مايكل والتون
٥٥ - ما وراء العلم جون بولكنجهوم
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) فديريكو غرسية لوركا
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) فديريكو غرسية لوركا
٥٨ - مسرحيتان فديريكو غرسية لوركا
٥٩ - المحيرة كارلوس مونيث
٦٠ - التصميم والشكل جوهانز ايتين
٦١ - موسوعة علم الإنسان شارلوت سيمور - سميث
٦٢ - لذة النص رولان بارت
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢) رينيه ويليك
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) آلان وود
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى برتراند راسل
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية أنطونيو جالا
٦٧ - مختارات فرناندو بيسوا
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى فالتين راسبوتين
٦٩ - العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين عبد الرشيد إبراهيم
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية أوخينيو تشانج رودريجت
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمي داريو فو
- ت : حياة جاسم محمد
ت : جمال عبد الرحيم
ت : أنور مغيث
ت : منيرة كروان
ت : محمد عيد إبراهيم
ت : عطف أصد / إبراهيم قحى / محمود ماجد
ت : أحمد محمود
ت : المهدي أخريف
ت : مارلين تانرس
ت : أحمد محمود
ت : محمود السيد علي
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : ماهر جويجاتي
ت : عبد الوهاب علوب
ت : محمد يرانة وعثمانى الللود ويوسف الأنطكى
ت : محمد أبو العطا
ت : لطفى فطيم وعادل نمرdash
ت : مرسى سعد الدين
ت : محسن مصيلحي
ت : على يوسف على
ت : محمود على مكى
ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
ت : محمد أبو العطا
ت : السيد السيد سهيم
ت : هبى محمد عبد الفنى
مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
ت : محمد خير البقاعى .
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : رمسيس عوض .
ت : رمسيس عوض .
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : المهدي أخريف
ت : أشرف الصباغ
ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهى
ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسى العجوز
٧٣ - نقد استجابة القارئ
٧٤ - صلاح الدين والمالِك في مصر
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية
٧٦ - چاك لاكان واغواء التطيل النفسى
٧٧ - تاريخ النقد الألبى الطيى ج ٢
٧٨ - العولة : لنظرية الاجتماعية والثقافة الكونية
٧٩ - شعرية التأليف
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»
٨١ - الجماعات المتخيلة
٨٢ - مسرح ميجيل
٨٣ - مختارات
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)
٨٦ - طول الليل
٨٧ - نون والقلم
٨٨ - الابتلاء بالتغرب
٨٩ - الطريق الثالث
٩٠ - وسم السيف (قصص)
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسباني وأمريكى المعاصر
٩٣ - محدثات العولة
٩٤ - الحب الأول والصحة
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني
٩٦ - ثلاث زنيقات ووردة
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)
٩٨ - الهم الإسلاني والابتزاز الصهيونى
٩٩ - تاريخ السينما العالمية
١٠٠ - مساطة العولة
١٠١ - النص الروائى (نقليات ومناهج)
١٠٢ - السياسة والتسامح
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آباء
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع
١٠٦ - الأدب الأندلسى
١٠٧ - صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر
- ت . س . إليوت
چين . ب . توميكنز
ل . ا . سيمينوفا
أندريه موروا
مجموعة من الكتاب
رينيه ويليك
رونالد رويرتسون
بوريس أوسبنسكى
ألكسندر بوشكين
بندكت أندرسن
ميجيل دى أونامونو
غوتفريد بن
مجموعة من الكتاب
صلاح زكى أقطاى
جمال مير صادقى
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنتونى جيدنز
نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
بارير الاسوستكا
كارلوس ميجل
مايك فينرستون وسكوت لاش
صمويل بيكيت
أنطونيو بويرو بايخو
قصص مختارة
فرنان برودل
نماذج ومقالات
ديفيد روينسون
بول هيرست وجراهام تومبسون
بيرنار فاليط
عبد الكريم الخطيبى
عبد الوهاب المؤيب
برتولت بريشت
چيرارچينيت
د . ماريا خيسوس روبييرامتى
نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومى
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
ت : مكارم الغمرى
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد المعالى
ت : عبد الحميد شيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحى يوسف شتا
ت : ماجدة العنانى
ت : إبراهيم النسوقى شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوى
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ت : إيوار الخراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحى
ت : رشيد بنحنو
ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
ت : محمد بنيس
ت : عبد الفقار مكاوى
ت : عبد العزيز شبيل
ت : أشرف على دعور
ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الكلداني مجموعة من النقاد
١٠٩ - حروب المياه جون بولوك وعادل درويش
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون
١١٢ - الاحتجاج الهادي أرلين طوى ماكليود
١١٣ - راية التمرد سادي پلانت
١١٤ - مسرحيات حصاد كوني وسكان المستنقع وول شوينكا
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام ليلي أحمد
١١٨ - النهضة النسائية في مصر بيث بارون
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنيل
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط ليلي أبو لغد
١٢١ - الليل الصغير في كتابة المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢ - نظم العبودية القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت
١٢٣ - إمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية نينل الكسنتر وفنابولينا
١٢٤ - الفجر الكاذب جون جراي
١٢٥ - التحليل الموسيقي سيدريك ثورپ ديفي
١٢٦ - فعل القراءة ثولفانج إيسر
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحي
١٢٨ - الألب المقارن سوزان ياسنيت
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوندر فرانك
١٣١ - مصر القديمة (لتاريخ الاجتماعي) مجموعة من المؤلفين
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فينرستون
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على
١٣٤ - تشريع حضارة باري ج. كيمب
١٣٥ - المختار من نقدت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء) ت. س. إليوت
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كونو
١٣٧ - منكرات ضابط في الصلة الفرنسية جوزيف ماري مواريه
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف إيقلينا تاروني
١٣٩ - باريسثال ريشارد فاچنر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار هيررت ميسن
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣ - قضايا التطور في البحث الاجتماعي ديريك لايدار
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جولونوني
- ت : محمود على مكي
ت : هاشم أحمد محمد
ت : منى قطان
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سمية رمضان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ت : لميس النقاش
ت : بإشراف/ رؤوف عباس
ت : نخبة من المترجمين
ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
ت : منيرة كروان
ت : أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد فؤاد بليغ
ت : سمحة الخولى
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السباعي
ت : أميرة حسن نويرة
ت : محمد أبو العطا وآخرون
ت : شوقى جلال
ت : لويس بقطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشايب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سحر توفيق
ت : كاميليا صبحي
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : مصطفى ماهر
ت : أمل الجبوري
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومي
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥ - موت أرتيميو كروث كارلوس فوينتس
١٤٦ - الورقة الحمراء ميغيل دي ليبس
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة تانكريد نورست
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية) إنريكي أندرسون إمبرت
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأندونيس عاطف فضول
١٥٠ - التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) فرنان برودل
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى نخبة من الكتاب
١٥٣ - غرام الفراغة فيولين فاتويك
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت فيل سليتر
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر نخبة من الشعراء
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى جي أنبال وآلان وأوديت فيرمو
١٥٧ - خسرو وشيرين النظامي الكنجي
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢) فرنان برودل
١٥٩ - الإيديولوجية ديفيد هوكس
١٦٠ - آلة الطبيعة بول إيرليش
١٦١ - من المسرح الإسباني اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
١٦٢ - تاريخ الكنيسة يوحنا الأسوي
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١ جورون مارشال
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نود) جان لاكوتير
١٦٥ - حكايات الثلج أ. ن. أفانا سيفا
١٦٦ - العلاقات بين التنين والطمانيين في إسرائيل يشعياهو ليتمان
١٦٧ - في عالم طاغور رابندراناث طاغور
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة مجموعة من المؤلفين
١٦٩ - إبداعات أدبية مجموعة من المبدعين
١٧٠ - الطريق ميغيل دليبيس
١٧١ - وضع حد فرانك بيجو
١٧٢ - حجر الشمس مختارات
١٧٣ - معنى الجمال ولترت . ستيس
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء ايليس كاشمور
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية لورينزو فيلشس
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية توم تيتنبرج
١٧٧ - أنطون تشيخوف هنري تروايا
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني للحيث نخبة من الشعراء
١٧٩ - حكايات أيسوب أيسوب
١٨٠ - قصة جاويد إسماعيل فصيح
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي فنسنت . ب . ليتش
- ت : أحمد حسان
ت : علي عبد الرؤوف البمبي
ت : عبد الغفار مكاوي
ت : علي إبراهيم علي متوفى
ت : أسامة إسبر
ت : منيرة كروان
ت : بشير السباعي
ت : محمد محمد الخطابي
ت : فاطمة عبد الله محمود
ت : خليل كلفت
ت : أحمد مرسى
ت : مي التلمساني
ت : عبد العزيز بقوش
ت : بشير السباعي
ت : إبراهيم فتحى
ت : حسين بيومي
ت : زيدان عبد الحليم زيدان
ت : صلاح عبد العزيز محجوب
ت : بإشراف : محمد الجوهري
ت : نبيل سعد
ت : سهير المصانفة
ت : محمد محمود أبو غدير
ت : شكري محمد عياد
ت : شكري محمد عياد
ت : شكري محمد عياد
ت : بسام ياسين رشيد
ت : هدى حسين
ت : محمد محمد الخطابي
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : أحمد محمود
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : جلال البنا
ت : حصة إبراهيم منيف
ت : محمد حمدي إبراهيم
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : سليم عبدالأمير حمدان
ت : محمد يحيى

- ١٨٢ - العنف والنبوة و . ب . بيتس
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما رينيه جيلسون
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام هانز إيندورفر
١٨٥ - أسفار العهد القديم توماس تومسن
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل ميخائيل أنوود
١٨٧ - الأرضة بُزْجُ علوى
١٨٨ - موت الأدب الفين كرنان
١٨٩ - العمى والبصيرة پول دى مان
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس
١٩١ - الكلام رأسمال الحاج أبو بكر إمام
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك زين العابدين المراغى
١٩٣ - عامل المنجم بيتر أبراهامز
١٩٤ - مختارات من النقد الأطلو-أمريكى مجموعة من النقاد
١٩٥ - شتاء ٨٤ إسماعيل فصيح
١٩٦ - المهلة الأخيرة فالتين راسيوتين
١٩٧ - الفاروق شمس العلماء شيلى النعمانى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى إنوين إمري وأخرون
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندائوى
٢٠٠ - ضحايا التنمية جيرمى سيبروك
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة جوزايا رويس
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جء رينيه ويليك
٢٠٣ - الشعر والشاعرية أطفاف حسين حالى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم زلمان شاراز
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافالى - سفورزا
٢٠٦ - الهولوية تصنع علماً جديداً جيمس جلايك
٢٠٧ - ليل إفريقي رامون خوتاسنديز
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوريان
٢٠٩ - السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين
٢١٠ - مثويات حكيم سنائى سنائى الغزنوى
٢١١ - فريتيان بوسوسير جوناثان كلر
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان مرزيان بن رستم بن شروين
٢١٣ - مصر منذ قوم تليهن حتى رجل عبد الناصر ريمون فلاور
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيدنز
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جء زين العابدين المراغى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين
٢١٧ - مسرحيتان طليعتان صمويل بيكيت
٢١٨ - رايبولا خوليو كورتازان
- ت : ياسين طه حافظ
ت : فتحى العشرى
ت : نسوقى سعيد
ت : عبد الوهاب علوب
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : علاء منصور
ت : بدر الديب
ت : سعيد الغانمى
ت : محسن سيد فرجاني
ت : مصطفى حجازى السيد
ت : محمود سلامة علاوى
ت : محمد عبد الواحد محمد
ت : ماهر شفيق فريد
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : أشرف الصباغ
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
ت : فخرى لبيب
ت : أحمد الأنصارى
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : أحمد محمود هويدى
ت : أحمد مستجير
ت : على يوسف على
ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
ت : محمد أحمد صالح
ت : أشرف الصباغ
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : محمود حمدي عبد الغنى
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : سيد أحمد على الناصرى
ت : محمد محمود محى الدين
ت : محمود سلامة علاوى
ت : أشرف الصباغ
ت : نادية البنهاوى
ت : على إبراهيم على منوفى

- ٢١٩ - بقايا اليوم
٢٢٠ - الهبولية في الكون
٢٢١ - شعرية كفاقي
٢٢٢ - فرانز كافكا
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا
٢٢٥ - حكاية غريق
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى
٢٢٧ - المسرح الإسباني في القرن السابع عشر
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر
٢٣١ - الدرافيل
٢٣٢ - مابعد المعلومات
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال
٢٣٤ - الإسلام في السودان
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزي ج ١
٢٣٦ - الولاية
٢٣٧ - مصر أرض الوادي
٢٣٨ - العولة والتحرير
٢٣٩ - العربي في الأدب الإسرائيلي
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار
٢٤١ - في انتظار البرابرة
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية جا
٢٤٤ - الغليان
٢٤٥ - نساء مقاتلات
٢٤٦ - قصص مختارة
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحدائق في مصر
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء
٢٤٩ - لغة التمزق
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية
٢٥٤ - الفلسفة
٢٥٥ - أفلاطون
- كازو ايشجورو
باري باركر
جريجوري جوزداتيس
رونالد جراي
بول فيراينر
برانكا ماجاس
جابريل جارشيا ماركث
ديفيد هريت لورانس
موسى مارديا ديف بوركي
جانيت وولف
نورمان كيمن
فرانسواز جاكوب
خايمي سالوم بيدال
توم ستينر
أرثر هيرمان
ج. سبنسر تريمنجهام
جلال الدين الرومي
ميشيل تود
روين فيلين
الانكتاد
جيلارافر - رايوخ
كامي حافظ
ك. م كويتز
وليام إمبسون
ليفى بروفنتسال
لاورا إسكييل
إليزابيتا أديس
جابريل جرشيا ماركث
ولتر أرمبرست
أنطونيو جالا
براجو شتامبوك
دومنيك فينك
جورجون مارشال
مارجو بدران
ل. أ. سيمينوفا
ديف روينسون وجودي جروفز
ديف روينسون وجودي جروفز
- ت : طلعت الشايب
ت : علي يوسف علي
ت : رفعت سلام
ت : نسيم مجلي
ت : السيد محمد نقادي
ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
ت : طاهر محمد علي البربري
ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
ت : أمير إبراهيم العمري
ت : مصطفى إبراهيم فهمي
ت : جمال أحمد عبد الرحمن
ت : مصطفى إبراهيم فهمي
ت : طلعت الشايب
ت : فؤاد محمد عكود
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : أحمد الطيب
ت : عنايات حسين طلعت
ت : ياسر محمد جاد الله وعربي منبولى أحمد
ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فانيق
ت : صلاح عبد العزيز محمود
ت : ابتسام عبد الله سعيد
ت : صبرى محمد حسن عبد النبي
ت : مجموعة من المترجمين
ت : نادية جمال الدين محمد
ت : توفيق علي منصور
ت : علي إبراهيم علي منوفى
ت : محمد الشرقاوي
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : رفعت سلام
ت : ماجدة أباطة
ت : بإشراف : محمد الجوهري
ت : علي بدران
ت : حسن بيومي
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام

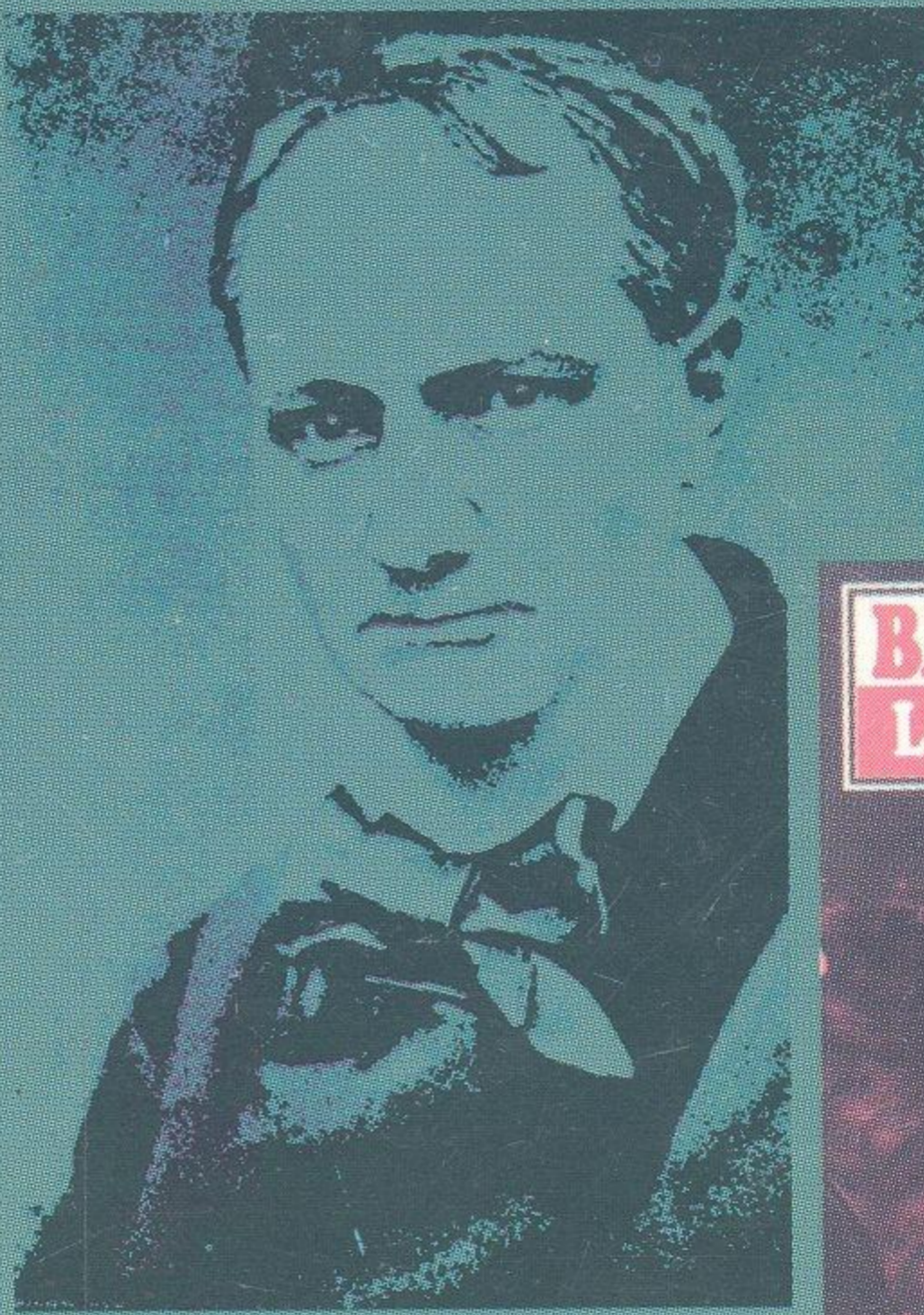
- ٢٥٦ - ديكارت ديف روينسون وجودى جروفز ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة وليم كلى رايت ت : محمود سيد أحمد
- ٢٥٨ - الفجر سير أنجوس فريزر ت : عبادة كحيلة
- ٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمنى نخبة ت : فاروچان كازانچيان
- ٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٢ جورنون مارشال ت بإشراف : محمد الجوهري
- ٢٦١ - رحلة فى فكر زكى نجيب محمود زكى نجيب محمود ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ٢٦٢ - مدينة المعجزات إوارد مندوتا ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
- ٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن چون جرين ت : على يوسف على
- ٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة هوراس / شلى ت : لويس عوض
- ٢٦٥ - روايات مترجمة أوسكار وايلد وصموئيل جونسون ت : لويس عوض
- ٢٦٦ - مدير المدرسة جلال آل أحمد ت : عادل عبد المنعم سويلم
- ٢٦٧ - فن الرواية ميلان كونديرا ت : بدر الدين عرودىكى
- ٢٦٨ - ديوان شمس تيريزى ج٢ جلال الدين الرومى ت : إبراهيم الدسوقى شتا
- ٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١ وليم جيفور بالجريف ت : صبرى محمد حسن
- ٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢ وليم جيفور بالجريف ت : صبرى محمد حسن
- ٢٧١ - الحضارة الغربية توماس سى . باترسون ت : شوقى جلال
- ٢٧٢ - الأديرة الأثرية فى مصر س.س. والترز ت : إبراهيم سلامة
- ٢٧٣ - الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط جوان آر. لوك ت : عنان الشهرى
- ٢٧٤ - السيدة بريارا رومولو جلاجوس ت : محمود على مكى
- ٢٧٥ - ت.س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً أقلام مختلفة ت : ماهر شفيق فريد
- ٢٧٦ - فنون السينما فرانك جوتيران ت : عبد القادر التلمساتى
- ٢٧٧ - الجينات : الصراع من أجل الحياة بريان فورد ت : أحمد فوزى
- ٢٧٨ - البدايات إسحق عظيموف ت : ظريف عبد الله
- ٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية فرانسيس ستونر سوندرز ت : طلعت الشايب
- ٢٨٠ - من الألب الهندى الحديث والمعاصر بريم شند وآخرون ت : سمير عبد الحميد
- ٢٨١ - الفريوس الأعلى مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى ت : جلال الحفناوى
- ٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية لويس وليبرت ت : سمير حنا صادق
- ٢٨٣ - السهل يحترق خوان رواقو ت : على البمبى
- ٢٨٤ - هرقل مجنوناً يوربيدس ت : أحمد عثمان
- ٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى حسن نظامى ت : سمير عبد الحميد
- ٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج٢ زين العابدين المراغى ت : محمود سلامة علاوى
- ٢٨٧ - الثقافة والعولة والنظام العالمى أنتونى كينج ت : محمد يحيى وآخرون
- ٢٨٨ - الفن الروائى ديفيد لودج ت : ماهر البطوطى
- ٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغانى أبو نجم أحمد بن قوص ت : محمد نور الدين
- ٢٩٠ - علم الترجمة واللغة جورج مونات ت : أحمد زكريا إبراهيم
- ٢٩١ - المسرح الإسبلى فى القرن العشرين ج١ فرانشيسكو رويس رامون ت : السيد عبد الظاهر
- ٢٩٢ - المسرح الإسبلى فى القرن العشرين ج٢ فرانشيسكو رويس رامون ت : السيد عبد الظاهر

ت : نخبة من المترجمين	روجر آلان	٢٩٢ - مقدمة للأدب العربي
ت : رجاء ياقوت صالح	بوالو	٢٩٤ - فن الشعر
ت : بدر الدين حب الله الديب	جوزيف كاميل	٢٩٥ - سلطان الأسطورة
ت : محمد مصطفى بدوي	وليم شكسبير	٢٩٦ - مكبث
ت : ماجدة محمد أنور	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	٢٩٧ - فن التحوين اليونانية والسوريلانية
ت : مصطفى حجازي السيد	أبو بكر ثقاوابليوه	٢٩٨ - مأساة العبيد
ت : هاشم أحمد فؤاد	جين ل. ماركس	٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية
ت : جمال الجزيري وبهاء جاهين	لويس عوض	٣٠٠ - أسطورة برومتيوس مج ١
ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي	لويس عوض	٣٠١ - أسطورة برومتيوس مج ٢
ت : إمام عبد الفتاح إمام	جون هيتون وجودي جروفز	٣٠٢ - فنجنشتين
ت : إمام عبد الفتاح إمام	جين هوب ويورن فان لون	٣٠٣ - بوذا
ت : إمام عبد الفتاح إمام	ريوس	٣٠٤ - ماركس
ت : صلاح عبد الصبور	كروزيو مالابارته	٣٠٥ - الجلد
ت : نبيل سعد	جان - فرانسوا ليوتار	٣٠٦ - الحساسة - النقد الكانطي للتاريخ
ت : محمود محمد أحمد	ديفيد باينو	٣٠٧ - الشعور
ت : معدوح عبد المنعم أحمد	ستيف جونز	٣٠٨ - علم الوراثة
ت : جمال الجزيري	انجوس چيلاتي	٣٠٩ - الذهن والمخ
ت : محيي الدين محمد حسن	ناجي هيد	٣١٠ - يونج
ت : فاطمة إسماعيل	كولنجوود	٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي
ت : أسعد طيم	وليم دي بويز	٣١٢ - روح الشعب الأسود
ت : عبد الله الجعدي	خاير بيان	٣١٣ - أمثال فلسطينية
ت : هويدا السباعي	جينس مينيك	٣١٤ - الفن كعدم
ت : كاميليا صبحي	ميشيل برونديتو	٣١٥ - جرامشي في العالم العربي
ت : نسيم مجلي	أ. ف. ستون	٣١٦ - محاكمة سقراط
ت : أشرف الصباغ	شير لايموفا - زنيكين	٣١٧ - بلاغ
ت : أشرف الصباغ	نخبة	٣١٨ - الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة
ت : حسام نايل	جايتز ياسييفاك وكريستوفر نوريس	٣١٩ - صور دريدا
ت : محمد علاء الدين منصور	مؤلف مجهول	٣٢٠ - لمعة السراج لحضرة التاج
ت : نخبة من المترجمين	ليفى برو فنسال	٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ٢
ت : خالد مفلح حمزة	دبليوجين كلينباور	٣٢٢ - التاريخ الغربي للفن الحديث
ت : هانم سليمان	تراث يوناني قديم	٣٢٣ - فن الساتورا
ت : محمود سلامة علاوي	أشرف أسدي	٣٢٤ - اللعب بالنار
ت : كريستين يوسف	فيليب بوسان	٣٢٥ - عالم الآثار
ت : حسن صقر	جورجين هايرماس	٣٢٦ - المعرفة والمصلحة
ت : توفيق علي منصور	نخبة	٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة
ت : عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	٣٢٨ - يوسف وزليخة
ت : محمد عيد إبراهيم	تد هيوز	٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد

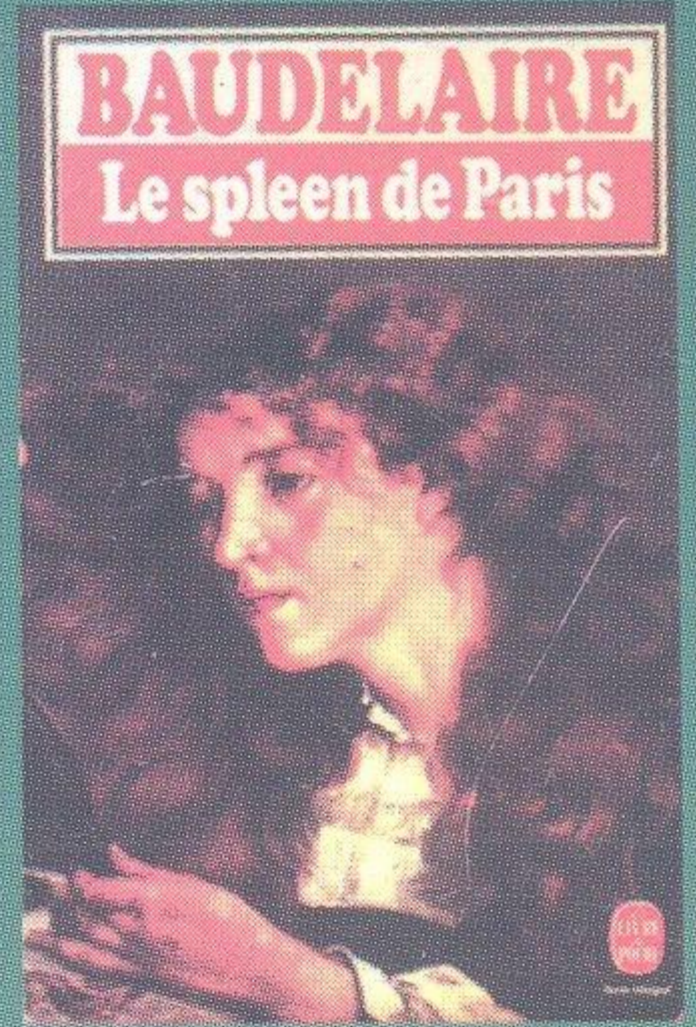
- ٢٢٠ - كل شيء عن التعميل الصامت مارفن شبرد
٢٢١ - عندما جاء السردين ستيفن جراي
٢٢٢ - رحلة شهر الصل وقصص أخرى نخبة
٢٢٣ - الإسلام في بريطانيا نيل مطر
٢٢٤ - لقطات من المستقبل آرثر س. كلارك
٢٢٥ - عصر الشك ناتالي ساروت
٢٢٦ - متون الأهرام نصوص قديمة
٢٢٧ - فلسفة الولاء جوزايا رويس
٢٢٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند نخبة
٢٢٩ - تاريخ الأدب في إيران ج٢ علي أصغر حكمت
٢٣٠ - اضطراب في الشرق الأوسط بيرش بيربيروجلو
٢٤١ - قصائد من رلكه راينر ماريا رلكه
٢٤٢ - سلامان وأيسال نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
٢٤٣ - العالم البرجوازي الزائل نادين جورديمر
٢٤٤ - الموت في الشمس بيتر بلانجوه
٢٤٥ - الركض خلف الزمن بونه نداني
٢٤٦ - سحر مصر رشاد رشدي
٢٤٧ - الصبية الطائشون جان كوكتو
٢٤٨ - التصوفة الأولون في الأدب التركي جا محمد فؤاد كوبريلي
٢٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة آرثر والديرون وآخرين
٢٥٠ - بانوراما الحياة السياحية أقلام مختلفة
٢٥١ - مبادئ المنطق جوزايا رويس
٢٥٢ - قصائد من كفافيس قسطنطين كفافيس
٢٥٣ - الفن الإسلامي في الأندلس (فرنسية) ياسيليو بابون مالدونالد
٢٥٤ - الفن الإسلامي في الأندلس (نباتية) ياسيليو بابون مالدونالد
٢٥٥ - التيارات السياسية في إيران حجت مرتضى
٢٥٦ - الميراث المر بول سالم
٢٥٧ - متون هيرميس نصوص قديمة
٢٥٨ - أمثال الهوسا العامية نخبة
٢٥٩ - محاورات بارمنيدس أفلاطون
٢٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة أندريه جاكوب ونويلا باركان
٢٦١ - التصحر : التهديد والمجابهة آلان جرينجر
٢٦٢ - تلميذ باينبرج هاينرش شبورال
٢٦٣ - حركات التحرر الأفريقي ريتشارد جيبسون
٢٦٤ - حداثة شكسبير إسماعيل سراج الدين
٢٦٥ - سأم باريس شارل بودلير
- ت : سامي صلاح
ت : سامية نياي
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : بكر عباس
ت : مصطفى فهمي
ت : فتحى العشري
ت : حسن صابر
ت : أحمد الأنصاري
ت : جلال السعيد الحفناوي
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : فخري لبيب
ت : حسن حلمي
ت : عبد العزيز بقوش
ت : سمير عبد ربه
ت : سمير عبد ربه
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : جمال الجزيري
ت : بكر الطو
ت : عبد الله أحمد إبراهيم
ت : أحمد عمر شاهين
ت : عطية شحاتة
ت : أحمد الأنصاري
ت : نعيم عطية
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : محمود سلامة علاوي
ت : بدر الرفاعي
ت : عمر القاروق عمر
ت : مصطفى حجازي السيد
ت : حبيب الشاروني
ت : ليلي الشربيني
ت : عاطف معتمد وآمال شاور
ت : سيد أحمد فتح الله
ت : صبري محمد حسن
ت : تجلاء أبو عجاج
ت : محمد أحمد حمد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٥٨٧ / ٢٠٠٢



شارل بودليير



سأم باريس

تتألق حرية مطلقة في قصائد بودليير النثرية ؛ فالقواعد التي يتبعها هي القواعد الداخلية فقط . إن حساسيته البالغة تقود عبقريته إلى حساسية الفرحة عند طفل فقير يلعب بفأر ، إلى حزن الأرامل ، إلى معاناة رجال يسحقهم وحشهم الخرافى ، إلى وجد العاشق غير المقدر . وثمة قاعدة أخرى هي الإشراق ؛ ففى عين امرأة يرى بودليير الأبدية ، وتظهر له الجنيات وتعطيه منحة الإعجاب ، ويظهر له الشيطان وإيروس أيضا ؛ ويقول ، « إن هذه الحياة مستشفى ، كل مريض فيها ممسوس بالرغبة فى تغيير سريرته » ، وينبغ الرحيل « لا يهم أين ، على أن يكون ذلك خارج العالم ! »